موقع المدى

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى
العدد (1655)السنة السابعة -الاحد (15) تشرين الثاني 2009

في السينما الهوليوودية ظهرت شخصية "جيمس بوند" كبطل معادل للتوجه السياسي، للعقلية التي أدارت الصراع في سنوات "الحرب الباردة"، وهدفها تبشيع صورة العدو الشيوعي السوفياتي وحلفائه، واظهار غباء وتدني امكانيات الاجهزة المخابراتية لما عرف ايامها بدول "المعكسر الاشتراكي"، أمام القدرات الفذة لأجهزة المخابرات الغربية، ومثل ذلك ظهرت شخصية "رامبو" ...

إتساع الإقبال على زيارة أجنحتهِ...

معرض المدى للكِتاب في السليمانية يواصل فتح أبوابهِ

■ السليمانية _ بشار عليوي

تواصل " المدى " للثقافة والفنون والآداب، فتح أبواب معرضها المقام على هامش فعاليات (مهرجان كلاويز الثقافي الثالث عشر) في السليمانية على قاعة المكتبة العامة. وقد حرصت " دار المدى " على تخفيض أسعار الكُتب بُغية رفع مستوى الإقبال على إقتناء الكتاب. وتُشارك الى جانب (دار المدى)، ثلاثة عشر من دور النشر العربية والأجنبية منها (دار الجمل / دار الأندلس / وزارة الثقافة السورية / الدار العربية للعلوم / الهيأة المصرية للِكتاب / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الإنتشار العربي / مؤسسة مجد / رِياض الريس / دار القلم والأرقم / دار النهضة / دار الكُتب القانونية / دار العلم للملاين / معهد الدراسات الستراتيجية / أربعة دور نشر هندية / دار الساقي/ دار الفارابي)، ويضم المعرض أكثر من ٧٠٠٠ عنوان في مُختلف المجالات العلمية والأنسانية والأدبية والأجتماعية، بالإضافة الى آخر إصدارات " المدى " وهي (رواية " ربيع أسود " ترجمة أسامه مندلجي / روايـة " الحلم العظيم " للروائي العراقي أحمد خلف / كتاب " الجواهري " وعي على ذكرياتي لفلاح الجواهري / كتاب " السحر " تأليف وليام سيبروك، ترجمة سليم عبد الأمير حمدان). وخلال تجوالنا في أجنحة المعرض، وجدنا إقبالاً ملحوظاً على زيارة المعرض وإقتناء المعروض من الكُتب من قبل ضيوف المهرجان كلاويز و مثقفي وأدباء وطلبة مدينة السليمانية، وكان لنا لقاء مع الأديب " حميد المُختار " الذي حدثنا قائلاً (فرصة طيبة أن تقام هكذا مهرجانات ثقافية، وما يُصاحبها من إقامة معارض للكُتب حتى نقتنص فكرة البحث عن كُل ماهو جديد في عالم الكتابة والنشر. فأنتم تعلمون أنهُ لا توجد في بغداد فُرصة لأقتناء الجديد من الكُتب سوى يوم الجمعة في شارع المُتنبي وتبقى فُرصنا الحقيقية هي وجودنا في هكذا مهرجانات وهكذا معارض. لايخفى على المُتابع للمشهد الثقافي العراقي، النشاطات الثقافية المُهمة التي تقوم بها " دار المدى " التي دائماً هي ما تكون السباقة في إقامة معارض الكُتب وبإصداراتها الجادة والرائعة وفي شتى أنواع المعارف لا سيما في إختصاصاتنا السردية. دار المدى مشهود لها بذلك، بل نحن من أهلها ومنهم وإليهم، ولأنها وفرت لنا الزاد المعرفي الحقيقي المفقود في السوق،لذا أعتقد أن هذهِ مُناسبة رائعة في البحث عن مفقوداتنا من الإصدارات. وبخصوص أسعار الكُتب المعروضة، فقد وجدت إرتفاعاً ملحوظاً في أسعارها ونأمل من دار المدى أن تضع بعض الخصومات للقُراء). أما الناقد " رشيد هارون " فقال (أول ما يُلفت الإنتباه في معرض المدى للكِتاب، هو العناية الفائقة بالتنظيم وعدد الكُتب. مع التنوع في العناوين والإختصاصات. معرض المدى للكِتاب، هو تظاهرة ثقافية عراقية وعربية وعالمية، ولم نُعدم وجود عناوين لمؤلفات عراقية. وأشير بذلك الى رواية (الحلم العظيم) للروائي أحمد خلف ومذكرات الجواهري، لمؤلفهِ فلاح الجواهري وسواها، وجدتُ أن عدد زوار المعرض إرتقى الى حجم ونوعية المعروض من الكُتب، والى الجُهد المبذول من دار المدى الذي يستحق المُباركة). كما إلتقينا أيضاً الباحث د. غنام محمد خضر حيث قال لنا (تميّز معرض المدى للكِتاب بمُميزات عديدة. فقد إشتمل على كُتب مُهمة ومُتنوعة في التوجهِ ومُنتقاة بطريقة مُميزة، فالذي يزور المعرض لا يخرُج إلا وبيدهِ كِتاب صادر عن " المدى").

الميديا وفضائح فوضى الشرق الأوسط

سفر الحراك الاجتماعي الفائت، بشتى مجرياته وتداعياتها، يؤشر الدور الخطير للإعلام كمؤثر ساند أو محرّض لفعل القوى المحركة للأحداث، وتحديدا خلال الحروب المفضية الى منعطفات تاريخية خطيرة، وقد لعب الإعلام الغربي في حرب الخليج الأخيرة، دوراً فاعلاً ومنتجاً في توجيه الرأي العام العالمي والعربي والمحلي...

المزيد

قراءة في عمارة الحداثة بالعراق

ثمة أحداث كثيرة أفرزت عوامل متباينة في أهميتها ومتنوعة في خلفياتها، ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وأثرت بعمق في منتج الممارسة المعمارية في العراق، وإذ قدرّ لنا ان نصف الفترة السابقة المحصورة بين بداية العشرينيات..

المزيد

جيوش غريبة وعذاب يومي

إنها مشاعر خاصة لربما؛ لكن ماذا تقول عن إنسان تداهمه الوحشة والشعور بالغربة في قلب مدنه وأراضيه؟ قال الشاعر الألماني العظيم هلدرلين عندما عاد إلى دياره من بلاد الأغريق بعد فترة أربع سنوات قضاها في دراسة الفلسفة الأغريقية:"عدتُ إلى أهلي وأنا غريبٌ بينهم". ...

المزيد

مكتبة

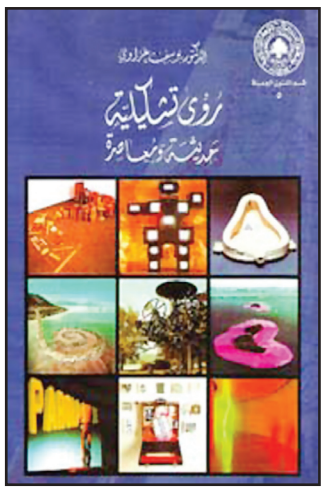

رؤى تشكيلية حديثة ومعاصرة

يثير يوسف غزاوي في كتابه المعنون بـ «رؤى تشكيليّة حديثة ومعاصرة» جملة من القضايا والشؤون التشكيليّة الراهنة، بهدف فتح النقاش على الفن المعاصر وخضوعه للجاهز الصنع، أو للإبداع الصناعي، والمحيط اليومي هو إشكالية بحد ذاتها، تتطلب مؤلفات بأكملها، ودراسات متواصلة.

صوت في الموقع

هل تؤيد ضرورة تحديث المكننة الطباعية في العراق وطرحها للاستثمار الاجنبي ؟

○ نعم
○ لا

كاليري العراق

كاظم شمهود

معارض فنية ولقاءات ثقافية بالبيت الثقافي في نينوى

■ **نينوى / موقع ورق**

ضمن أنشطة وفعاليات البيت الثقافي في نينوى التابع لدائرة العلاقات الثقافية إحدى دوائر وزارة الثقافة عقد البيت الثقافي في نينوى لقاءات ثقافية منفصلة مع نخبة من الشعراء والروائيين والكتاب والموسيقيين والمسرحيين لشرح شروط الجائزة التي أطلقتها وزارة الثقافة.

صرح بذلك مصدر مسؤول في البيت الثقافي في نينوى وأشار الى تثمين مبدعي المحافظة مبادرة الوزارة بإطلاق الجائزة في دورتها الأولى لعام ٢٠٠٩ وتأكيدهم ضرورة المشاركة وإظهار الوجه الثقافي المتألق لمدينة الموصل ومبدعيها.وأشاد المصدر بالصالون النسائي الذي تنظمه وحدة المرأة والطفل في البيت الثقافي في محافظة نينوى وأقام البيت الثقافي في نينوى معرضا فوتوغرافيا لأشهر وأقدم المساجد والجوامع في مدينة الموصل وضم المعرض أكثر من ٢٠ صورة فوتوغرافية جسدت المساجد والجوامع إضافة الى فن العمارة الإسلامية التي تميزت بها مساجد وجوامع الموصل القديمة والحديثة.

نادي الشعر في بابل يحتفي بالشاعر المغترب ذياب شاهين

■ **بابل/ إقبال محمد**

أقام نادي الشعر في اتحاد أدباء وكتاب بابل أمسية شعرية احتفاءً بالشاعر العراقي المغترب ذياب شاهين قرأ فيها عدداً من قصائده وتطرق من جانب آخر الى نظريته العروضية في الشعر العربي والتي اكتشف فيها عددا من البحور التي تجاوزت ١٥٠ بحراً جديداً وقرأ نماذج شعرية على البحور التي اكتشفها ، في نهاية الأمسية شكر الباحث والشاعر الشاهين نادي الشعر واتحاد أدباء بابل وشكر الحاضرين بعد أن عقب على ما جاء في كلام المعقبين.

البيت الثقافي في صلاح الدين يقيم ندوة عن (أسس التشريع الإسلامي)

■ **صلاح الدين / موقع ورق**

أقام البيت الثقافي في صلاح الدين التابع لدائرة العلاقات الثقافية إحدى دوائر وزارة الثقافة معرضا للخط العربي للخطاط رياض علي جاسم.صرح بذلك مصدر مسؤول في البيت الثقافي مضيفا ان المعرض احتوى عدداً كبيراً من اللوحات الممثلة للخط العربي الإسلامي كما قدم الخطاط شرحا توضيحيا لكل لوحة من لوحات المعرض ونوع الخط المكتوب وكيفية استخدامه، حضر المعرض عدد كبير من المثقفين في المحافظة.وتحدث المصدر عن الندوة الموسعة التي أقامها البيت الثقافي النجفي عن (أسس التشريع الإسلامي) وعن الأمسية الشعرية للشعر الإسلامي والتي قدمت فيها قراءات شعرية متميزة لعدد من قصائد الأستاذ حسين دلف المجمعي في مدح الرسول الكريم (ص).

التراث في اتحاد أدباء بابل

■ **بابل/موقع ورق**

أقام اتحاد الأدباء والكتاب في بابل أمسية ثقافية عن التراث والموقف منه حاضر فيها الدكتور اسعد محمد علي النجار الأستاذ في جامعة بابل، والباحث صلاح مهدي السعيد، وقد تطرق كلا الباحثين الى الموقف من التراث وكيف استلهم الأدباء والمثقفون هذا الموقف في رفد الدرس الأدبي والنحوي في الكتابة والتأكيد على الدور الفاعل للتراث، في وقت خالف فيه الباحث السعيد هذه الرؤية منطلقاً من نظرة التطور الحداثي ومتعلقاته الأدبية، وقد شارك الكثير من الأدباء في مداخلات أغنت الأمسية.

الديوانية تمسك بثريات الرماد

■ **سعد ناجي علوان**

تثميناً للدور الثقافي المتميز للشاعر والإعلامي (أحمد عبد السادة)، واحتفاءاً بمجموعته الشعرية (ثريات الرماد) أقام الجدار الثقافي وبالتعاون مع البيت الثقافي في الديوانية، أمسية بالمناسبة حضرها جمع من أدباء ومثقفي المدينة.

قدم الجلسة الناقد الدكتور (باسم الأعسم) مشيراً إلى أهمية الوعي في الحفاظ على جماليات الواقع الحياتي، مشيراً الى ما للشعر من أهمية بالغة، ثم أشار إلى مكانة الكاتب والشاعر (أحمد عبد السادة) ومجموعته الشعرية (ثريات الرماد) الحافلة بمديات الحداثة.

بعدها قرأ الشاعر (احمد عبد السادة) مجموعة من قصائده المشتملة إضافة إلى جمالياتها الشفافة، جرأة الفكرة وعمارة حرص الشاعر فيها على ما استجد من بُنى عناصر القوة ومقومات الإبداع.

سأطفئُ اسمي المدرع بحبر الآلهة
وأشرع خوذتي رئة للندى
وأهشم الدوي الجبلي
لفأسي بتنهيدة فراشة
.....
الآن فقط
رأيت ما دونته المرايا
ففاضت عليّ مسلتي
القوية بالندم
وفاض عليّ الفراغ
بزئيره وأنيابه

ليبدأ الشاعر (صلاح السيلاوي) قراءة لقصيدة (الاسم الكامل لكلكامش) متناولاً الأفق المشترك الذي خلقه الشاعر، بين آمال كلكامش في الخلود وعبثية الحياة وعدميتها، ومدى أهمية إثبات الوجود المرجو لولوج الحياة بثقل واضح.

أما الناقد (عبد العزيز إبراهيم) فقد رأى ان الشاعر ذو بعد تفاؤلي يهتم بالحاضر، وما يجري على أسطحه من تفاعلات وهواجس وأحلام، من خلال سيادة الزمن الفعلي وكتابة المجموعة الشعرية (ثريات الرماد) بطغيان الجملة الفعلية ذات الزمن المضارع. وتلك سمة تجعلنا نغض الطرف عن الذاتية في القصائد، ثم تلت الشاعرة سلامة الخفاجي كلمة أبانت فيها الجانب العاطفي والحلمي في أشعار (احمد عبد السادة) بعيداً عن العبث المتناثر بينها.

وتناولت ورقة الأستاذ الباحث (كامل داود) (مقاربات في سلطة المقدس) عرضاً مسهباً للأفكار النقدية التي دأب (احمد عبد السادة) فيها الإشارة للخطاب الديني، المروج لمفاهيم خاصة تقترب من المنحى السياسي أكثر منها للديني، وتلك مغامرة غير مأمونة العواقب، خاصة عندما تأتي من خارج سلطة المقدس، كما يؤكد الأستاذ الباحث مفصلاً ومباركاً مرجعيات الخطاب النقدي للكاتب، حيث دخل هذه المفازة بخفة ورشاقة، زوادته المنطق والنتائج على أرض الواقع المعاصر للحياة.

ليعود الشاعر (احمد عبد السادة) ويقرأ ثانية (نبوءة زليخا) و(أغنية الحلاج الأخيرة).

أمسيتان ثقافيتان في البيت الثقافي بالنجف الأشرف

■ **النجف /موقع ورق**

أقام البيت الثقافي النجفي التابع لدائرة العلاقات الثقافية إحدى دوائر وزارة الثقافة أمسية تحت عنوان (دور المرأة في مواجهة التحديات) صرح بذلك مصدر مسؤول في البيت مضيفا ان المحامية بشرى الزاملي القت محاضرة أغنت من خلالها الأمسية بالشواهد التاريخية لانجازات المرأة عبر أدوارها المتعددة فضلا عن طرحها لمختلف التحديات التي عصفت بها والحلول الناضجة لها وتخللت الأمسية مداخلات وإسهامات الحاضرين مؤكدين ضرورة إتاحة الفرصة الكافية للمرأة لكونها قادرة على إدارة الاعمال وإبداء التعاون معها عملا بمبدأ المشاركة بين المرأة والرجل.

وأشار المصدر الى الأمسية الاحتفائية بصدور رواية للقاص محمود عثمان تضمنت قراءات نقدية حول الرواية الجديدة التي حملت عنوان(حي السعد) نسبة لأحد أحياء النجف القديمة والذي يشكل مركز الأحداث التي تتحدث عنها الرواية.

وفي نهاية الاحتفالية قدم الأدباء والمثقفون شكرهم للبيت الثقافي لهذه المبادرة الطيبة آملين التواصل مع الوسط الثقافي.

برعاية وزير الثقافة د.ماهر دلي الحديثي

بدء فعاليات مهرجان لقاء الأشقاء السادس للهوايات والحرف المتنوعة

■ **بغداد / موقع ورق**

برعاية وزير الثقافة د.ماهر دلي الحديثي افتتح وكيل الوزارة الأستاذ فوزي الاتروشي فعاليات مهرجان لقاء الأشقاء السادس للهوايات والحرف المتنوعة على قاعات الوزارة /مركز بغداد للفنون للفترة من ٩ الى ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٩.

أولى فعاليات المهرجان كانت لفرقة المقام العراقي بأغنية تراثية إضافة الى فعاليات متنوعة ومختلفة منها مشاركة بيت الحكمة للكتاب بمعرض للكتب وجمعية الثقافة والفنون مركز النصيحة والإرشاد بعرض صور وملابس وهيئة السياحة وروضة البنفسج لإضافة الى مشاركة عدد من الفنانين بلوحات تشكيلية متنوعة ومساهمة أصدقاء المتحف العراقي الفنية بعدد من اللوحات ومؤسسة الصحفيين العراقيين بعرض صور ضحايا تفجيرات الصالحية عوضا عن عرض مسرحي بعنوان (عندما يصحو الضمير) فكرة وإخراج لطيف نجم الطائي ومشاركة مواطنين من داخل وخارج العراق وعدد من الطلبة بعرض مساهماتهم المختلفة.

فوزي الاتروشي

ويعد مهرجان لقاء الأشقاء السادس تظاهرة فنية سياحية تراثية كبيرة تليق ببلدنا الحبيب وفي بغداد السلام تحمل روحية الموهوبين والمبدعين من أصحاب الهوايات والحرف المتنوعة.. وهو فرصة لتعريف الجمهور والمتذوقين بهم وبهواياتهم وحرفهم واقتنائها كما انها فرصة للتعبير عن طموحاتهم وطاقاتهم الخلاقة ومد جسور الصداقة بين المشاركين وتقوية صلة ترابطهم بما يعزز السلام وروح الإخوة والتسامح بينهم تجسيدا لوحدة العراق وثقافته وفنه وتراثه وتعزيز مكانته عربيا وعالميا.

العراق يضيف اجتماعات المعهد الثقافي الإفريقي - العربي عام ٢٠١١

■ **بغداد/موقع ورق**

وافق المجلس التنفيذي للمعهد الثقافي الإفريقي - العربي على تضييف العراق اجتماعات الدورة الحادية عشرة للمجلس التنفيذي عام ٢٠١١.

ووافق المجلس على مقترح العراق بالاجماع، لكون العراق عضوا فاعلاً فيه ويعمل على المشاركة فى بناء الستراتيجية الثقافية الإفريقية - العربية.

وقال مصدر في الوزارة، أن وزير الثقافة الاثيوبى أكد دعمه ومساندته للشعب العراقي وانه سيزور بغداد خلال الفترة المقبلة لتعزيز الروابط الثقافية الثنائية بين البلدين لما يخدم المصالح المشتركة بينهما ويقوى من عرى التواصل الثقافى بين البلدين ،وأكد المصدرأن الوزارة حريصة على المشاركة فى المحافل المحلية والعربية والدولية كافة من أجل إعادة العراق للوسط الثقافى والتواصل مع العالم على جميع الصعد.

حضور فاعل لجامعة البصرة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي

■ **موقع ورق**

شاركت جامعة البصرة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي الذي عقد مؤخرا، وقال الدكتور عبد الكريم عبود التدريسي في كلية الفنون الجميلة في الجامعة وممثلها في المهرجان بان فعاليات الجامعة كانت مميزة إذ أضاء المسرح العراقي بإمكانياته الفنية والبحثية والجمالية ليالي مسارح القاهرة بعرضين مسرحيين ومشاركة فاعلة في الندوات الرئيسية التي تخللت مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، وأضاف أن المهرجان تضمن مشاركة لوفود من اغلب قارات العالم ممثلة بخمس وأربعين دولة كان من أبرزها (الأرجنتين، وبولونيا، وسوريا ،وايطاليا، وأمريكا، واسبانيا)، ولقد مثلنا وزميلي الدكتور عبد المجيد حميد جامعة البصرة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي بدورته الحادية والعشرين وقد قدمت بحثا ً في الندوة الرئيسية للمهرجان لاقى استحسان الباحثين ومن أنحاء العالم كافة ركزت فيه على موضوعة التجريب في المسرح السياسي وطريقة المعالجة ودافعت عن أرائي وبشدة في مرجعيات التجريب في المسرح الملحمي من خلال اشتغالي على النصوص وابتداعي لآليات جديدة لها فالمسرح التجريبي كما هو معروف خاضع للاكتشاف والتجديد ويتجاوز المعالجات الإخراجية ويرفض كلما هو تقليدي ومألوف.

وعن الجوائز التي تم الحصول عليها قال الدكتور عبد الكريم (لا يمكننا أن ننكر ما خلفته الحروب السابقة من إضرار بالبنى التحتية للمسرح العراقي(المشاهدون والإمكانيات المادية) مما حدانا للبحث عن بدائل جمالية أخرى لإيصال أفكارنا إلى الناس، لقد باتت المهرجانات حلاً بديلاً يبرز إبداعات الفنان العراقي ففوز الفنانة بشرى إسماعيل كأفضل ممثلة في المهرجان عن مسرحية الصدى للمخرج حاتم عودة وتكريم الفنان القدير عزيز خيون ما هو إلا دليل على أن المسرح العراقي مازال معافى، وهذا هو شأن العراقي الذي يترك بصماته الإبداعية حيثما حل.

وتخلل المهرجان إصدار خمسة وعشرين كتاباً وعدد من التراجم التي تعنى بالفنون المسرحية الحديثة إضافة إلى إصدار جريدة خاصة بالمهرجان تواكبت على الصدور لأكثر من إثني عشر عدداً طوال أيام المهرجان العشر.

يذكر أن مسرحية(الصدى) التي عرضت في المهرجان قدمتها الفرقة القومية للتمثيل وأخرجها الفنان حاتم عوده، وقد عرضت المسرحية أول مرة عام ١٩٨٤ بإخراج الفنان(عزيز خيون) وتمثيل الفنانة عواطف سلمان والفنانة وجدان الأديب والفنان مجيد حميد الجبوري مؤلف المسرحية، وقد ترجمت المسرحية إلى اللغة الكردية وعرضتها فرقة(احمد سالار) عام ١٩٨٩ في محافظة السليمانية،وكذلك ترجمت إلى اللغة الاسبانية، ودخلت ضمن أطروحة الدكتوراه للدكتور صباح العطية التي قدمها إلى جامعة(موريثيا) الاسبانية وقدمت في عام ١٩٩١ على مسرح جامعة (موريثيا)

رأي آخر للمثقفين

■ **شاكر الأنباري**

طوال أكثر من ثلاث سنوات، بعد ألفين وثلاث، غاب، بشكل ملحوظ، رأي المثقفين العراقيين عما يجري في بلدهم، أو في الأقل لم ينل الانتباه الكافي. وهذا الغياب برغم أن له مبرراته، الحق اضرارا بالغة بتطور العملية السياسية والاجتماعية والفكرية السائدة. وهي حقبة نتمنى ألا تستمر، فالبلد أمام استحقاقات مصيرية. اذ لم يبق من الانتخابات سوى شهرين تقريبا.

شهران ستدور فيهما صراعات حادة، ومناقشات عميقة، ومماحكات، كلها تتناول المستقبل العراقي من أوجهه كافة. وهي معركة حقيقية بين التنوير والتخلف، بين المذهبية والوطنية، بين الانفتاح الاقليمي والدولي او التقوقع على دولة بعينها.

والمعركة سيكون للكلمة الصادقة، والعقلانية، والاستشراف المستقبلي دور كبير فيها، خاصة وثمة سوق اعلامي ضخم يقوم أمامنا.

بات من المعروف للجميع أن عددا كبيرا من القوى السياسية جاءت الى المشهد عن طريق القوائم المغلقة، والمحاصصات، والتحشيد الطائفي، وارهاب التكفيريين والميليشيات. هذه العملية بالتباساتها، ادخلت عناصر لا يستهان بها الى الساحة. قسم كبير من تلك العناصر يتمتع بجهل يحسد عليه، وبضيق أفق يمكن أن يقود الى تضليل، وفساد، ونعرات مذهبية وقومية وحزبية تضر أكثر مما تنفع. هذا عكس المثقفين الذين أثبتوا سعة صدر، وقدرة على الارتفاع عن ضيق الأفق المذهبي والقومي وحتى الوطني، لكونهم يتمتعون بحس انساني واسع.

وهذا ناتج عن الاطلاع على ثقافات الشعوب، واختلافاتها في الوعي، والدين، والفولكلور، والأساطير، والتوجهات السياسية. كما حافظت الجبهة الثقافية، بشكل عام، على تماسك واضح في الدفاع عن وحدة العراق، وعلمانية الدولة، والمجتمع المدني، وحرية التعبير والرأي، مع تشتت المثقفين العراقيين في أكثر من بلد وقارة، ووقوعهم تحت هيمنة ظروف شاذة، وبالذات الذين يعيشون في احضان الوطن. وهم يطمحون الى يوتوبيا يتمتع فيها الفرد مهما كان منحدره الفكري او المذهبي او القومي، باحترام السلطة له، وحماية الدستور وحياة مستقرة تتمتع بضمان اجتماعي على المستويات أجمع. المثقف على العموم، لا يبيع نفسه الى الشيطان من اجل منافع مادية، بل هو يحترم كلمته وعقله وارادته في خلق روح وطنية منفتحة وانسانية.

كل تلك المواصفات تستدعي ان يشارك المثقف بفاعلية اكبر في الشهرين القادمين. وذلك لأنه هو الأكثر خبرة بما أصاب الوطن من جراح، وما تشوه في عقل وروح ابن البلد. وبرغم ما قطعه العراق من تطور في السنوات الست السابقة، على صعيد توفير الأمن النسبي، ومحاولة اعادة البناء، وتثبيت ركائز دولة عصرية، الا أن ذلك كله يمكن أن يذهب هباء اذا ما جاءت الى سدة السلطة قوى ظلامية لا تؤمن بحرية الفرد. قوى وأحزاب وائتلافات قد تحاول فرض رؤية واحدية على الشارع، أو تكميم الأفواه، أو تحجب النساء، بالقسر والترهيب، وكأنها تنتقم من نضالات المتنورين العراقيين على مدار قرن كامل.

قراءة في ديوان "مراثٍ ليست لمدينتي"

كـائـنـات بـلـون الأرض

■ **محمود النمر**

لا يختلف اثنان على ان البيئة او المكان الأول للإنسان هو أهم المحطات التي ترسم وتغوي وتطارد المرء، في كل محطات حياته وخاصة اذا كان هذا المعني هو الذي يصاب بداء الذكرى التي تقلب عنده الأحداث والأوجاع والمسرات الى تاريخ مكان وزمان وشخوص،تاريخ غير كل التواريخ التي نقرأها في المناهج، انه التاريخ الصاخب بالطفولة والخيال والخوف والولادة والتمرد والنزق والفضول على كشف المستورات والعبور الى المناطق الممنوعة والحقول الملغومة والبساتين المشتبكة ونياسم حقول الذرة والقمح والأزقة الضيقة او المغلقة، لا تبقى الذكريات ميتة في الروح التي أصابها ضوء التعجب والدهشة والعين القلقة والمرتبكة والحالمة، الروح التي تمتلك المقومات الأولى هي تؤشر كل شيء ،لذلك تطغى عليها صفة الخيال والمثول والانفلات عبر هذه الحزم الضوئية التي تومض في الأفق البعيد، بان في السنوات الأولى كانت هناك مثابات تكونت في روحك ايها الحالم فتعال وانبش هذه التلال لترى كيف كانت معبأة بالأحلام.

الشاعر عبد الرزاق صالح من هنا يبدأ رحلة التداعيات من قصيدة "حكاية جدي علي العكار" كأنه يريد ان يسرد شيئاً من السيرة الذاتية وسلالة العائلة التي تكّون منها،فهو يذكر الأماكن والمدارس والحدائق بلغة مباشرة وسرد نثري بالذكرى وتثبيت الأسماء فقط ،لكن في آخر القصيدة تجد لوعة أهل البصرة في لغة بسيطة موجعة/ عندما أصبحت البصرة/ مدينة المدن/ ضاعت المدينة/ تحت شظايا الحروب/ وخراب الدروب /ماذا بقي من البصرة/ بعد خراب البصرة؟

ينتمي الشاعر عبد الرزاق صالح الى البصرة بكل ما يمتلك من كريات دم في عشقه لمدينته البصرة/ صخور كالمرايا/ لؤلؤة مثقوبة/ صدفة بحرية/ كبرت في لج الماء/ عراف قال: ريح التكوين/ نقاوة مدينة طيبة/ أغرقت قرطها في الحب/ جيدها جدول صغير/ كوكب في كبد السماء/ ولدت من قُبل الماء.

ولان البصرة هي لؤلؤة الخليج تعج بالصيادين والمراكب ذات الأشرعة الصفر، تراه قريبا جدا من آلام الصيادين وأحلامهم المؤجلة نحو رحلات الصيد والمواسم التي تدر عليهم بما يسد رمق العيش، فهو يصف الأوجاع وأغنيات الملاحين ويكون قريباً جداً منهم ربما هو واحد من هؤلاء/ البياض منتصف اللجة/ نرجس محترق/ تعوم الأسماك الصدفية/ حمراء/ زرقاء/ صامتة/ بقايا ورد الغريق/ ذبول الرحلة آيبة للجرف المسن /جثة المحترق فدية /شفاء أشرعة السواد /والوفاء وهم.

يدرك عبد الرزاق صالح مستوى حجم اللوعة والمعاناة التي تعيشها مدينته البصرة من الخسارات والانكسارات التي مرت عليها في الحروب المتوالية، انه يدخل الى كل نافذة من نوافذ المدينة الى كل الأزقة والشوارع الى متعة السواحل الى عباءة الخريف والى أعياد القديسين الى الأبواب الموصودة/ سدّي/ اللوح فارغ الا من طين/ المدن قريبة/ في زاوية قائمة/ غادر من حين ساحل البحر/ على هامات البعد/ ثنايا طواف الا من ماء/ غادر منذ حين/ خاف الصمت المطبق/ مجانا باع الهوى/ ممجدا حياة ساحل المتعة/ يلف نجوة الليل في عباءة الخريف.

في قصيدة - نساء الملح – يدخل الشاعر هذا العالم الذي يختلط فيه بياض الملح بسيقان النساء المنحيات في البرك الضحلة، النسوة اللواتي يمنحن أحداق الملح هذا البياض ،امرأة الملح ذات مواصفات لها قدرات في الجمال، لانها ممشوقة وحالمة كلغة جسدها الذي يتصفد بالبياض هي امرأة تتمنى ان تقبلها المرايا/ نساء من ملح/ زهرها وجنات الصبايا/ في الصباح حين يعانق الضوء تاج الماء/ تغرد الحناجر أغنية الملح/ كائنات بلون الأرض/ والدماء فوق الشفاه/ مرآة ترغب في تقبيل امرأة الملح، ان الشاعر يدنو من هؤلاء النسوة من هذا العالم من هذا المنجم، الموحي الى الفقر والجمال والكدح وعطاء الطبيعة العفوي الى الجمال الذي يبحث عن لذة العيش من لسعة الملح حين يتسرب الى المسامات اللينة، مسامات حسان الملح، وحين يرى أكوام الملح تتحول الى بحيرات من قطن، ينفرط عقد الملح من أعناق الحسان فتظهر ذرات الملح على الصدور النافرة المتلألئة ببريق الملح، هذه الصور الموحية الى ان الفقر واللوعة والكدح والاسى، يكمن فيها الجمال والسمو واللهفة والشبق والحب، والجزر العميقة التي تتمثل في العيون.

الذي يحاول ان يستطلع ذكاء الشاعر في اختياراته المتنوعة الذي يبدأها من شجرة العائلة الى شفاه كالتين يحصل على نتيجة مدركة ان الشاعر يمر على الأشياء، ليس مروراً عابراً وانما هو مرور "ركب النمل" انه يتشظى في كل الزوايا وفي كل الأمكنة، ويضع علامات حمر تشير الى جميع الأشياء التي دهشت الشاعر عبر التجوال اليومي ،حتى انه يذهب الى الأسطورة او الخرافة او الموروث الشعبي ففي قصيدة –السمندر- والسمندر هو دابة تعيش في الماء وعلى اليابسة وقيل انها تفرز مادة تطفئ النار/ قلق.. رأسُ من هذا المتماوج تحت أنياب المياه؟/الحزن لا يورث بهاء/ الحزن يورث نارا/ كل شيء يتحول الى رماد/ فلم تحترق ايها السمندر.

انه يحاول ان يقلب المعادلة.. او يستفز الخرافة!!

بعد مرور ١٦٠ عاماً

الـصـحـافـة الآشـــوريـــة تحـتـفـي بـالـلـغـة الأم

■ **موقع ورق**

احتفى اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، في يوم الاربعاء وعلى قاعة الجواهري ،بمناسبة مرور -١٦٠- عاما على تأسيس الصحافة الآشورية –١/١١/١٨٤٩م، وقدم الجلسة- ابرم ايشو بنيامين-، وقال في كلمة ترحيبية بالحضور: ان الوعي الفكري الذي يمثله الوعي القومي عند كل شعب وامة من امم العالم هو السبب المباشر لكل نهضة قومية ،بل هو العامل الفعال في خلق اليقظة والتوثب الاجتماعي، ومن هنا نستنبط بان الروح المتفتحة المستمدة حيويتها وديمومتها من الفكر هي الروح التي تستطيع كحد ادنى حمل الرسالة وبناء امة .

وقرأ الشاعر –بولص شليطا – ورقة بمناسبة يوم الصحافة الآشورية جاء فيها :اعتبر الاول من تشرين الثاني عام -١٨٤٩-عيدا للصحافة الآشورية –باللغة السريانية –الذي صادف العدد الاول من مجلة – زهريراوبهرا - أشعة النور– والتي صدرت في مدينة اورميا الآشورية في إيران، وهذا الإصدار كان سببه النشاطات التبشيرية في العديد من مناطق شعبنا وخاصة اواسط القرن التاسع عشر،حيث وصلت الارسالية الامريكية الى –اورميا-في عام ١٨٣٦واهتمت بالنواحي التعليمية ،فجلبت مطبعة بدائية كانت كافية لاصدار بعض الكتب الى جانب صحيفة –زهريراوبهرا-كما ان البعثة الفرنسية اصدرت –قالاوشرارا-صوت الحق-لتغدوا تلك الارساليات نجوما تنير زوايا مهمة في حياة شعبنا.

وهكذا وفي الاول من تشرين الثاني من كل عام يحتفي شعبنا الآشوري في الوطن الام وفي بلدان المهجر،بعيد الصحافة الآشورية والذي تمر هذا العام ذكراه المائة والستون ارتباطا بتاريخ صدور اول صحيفة باللغة الآشورية وهي –زهريرا وبهرا –اشعة النور-وعن بداية الصحافة في اوساطنا يرى بعض المؤرخين والباحثين ان لها جذورا عميقة تمتد الى عهد الخلافة العباسية اذ ان

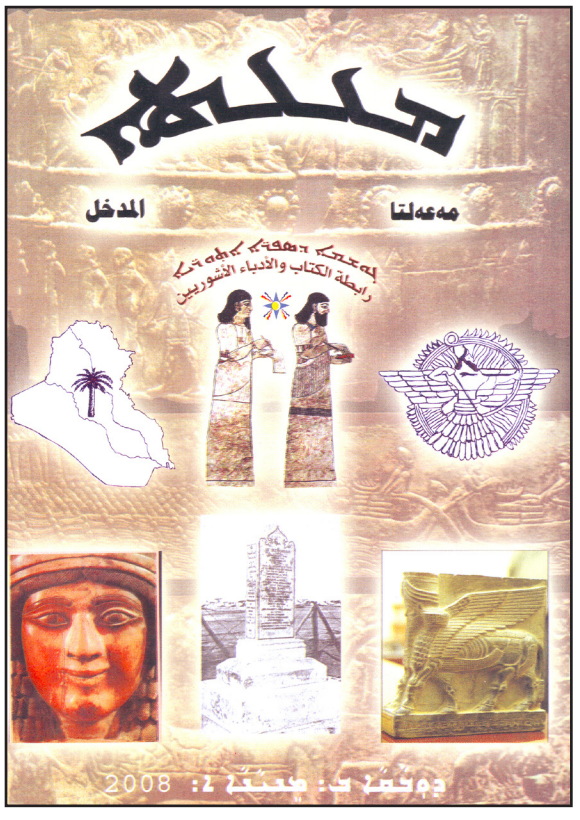

البطريرك –طيماثيوس الكبير– في القرن الثامن الميلادي ،والذي عاصر الخليفة العباسي المهدي وكانت له مع الخليفة المهدي مناظرات وجلسات حوارية لاهوتيه شهيرة، كان يحرر رسائل دورية هي في الواقع اقرب ما تكون الى النشرات يبعثها بانتظام الى ابناء رعيته بواسطة الاساقفة ولكنها تحمل لهم اخبار البطريركيةوالرعيات وبعض التوجيهات وهكذا كانت البداية.

هكذا صدرت –زهريرا وبهرا-اشعة النور –في اروميا في ١٨٤٩/١١/١كاول صحيفة آشورية شهرية ثم نصف شهرية باربع صفحات وباللغة الآشورية وكان رئيس تحريرها –بنيامين لاباري-وبمساعدة ميرزا شموئيل وتميزت بتنوعها الاخباري والثقافي والادبي وتراوح اهتمامها في مراحل صدورها الاول بقضايا التاريخ القديم للاشوريين ثم شغلت دراسة العلاقات التاريخية بين الشعب الاشوري والشعوب المجاورة حيزا هاما فيها ،جاء بعدها صراع الخير والشر ونضال الفقراء ضد الاغنياء ليكون محور اهتماماتها في بداية القرن العشرين ،وقد صدرت صحف ومجلات في تركيا وايران والعراق وسوريا وبعض بلدان الاغتراب –امريكا- روسيا-فرنسا وغيرها.

وقال الامين العام لاتحاد الادباء الفريد سمعان :ان الاديب العراقي والمثقف العراقي لايقرأ هذه المجلات لاتقرأ الا من قبل الادباء والمثقفين ،ولو كان هناك كراسات صغيرة جدا توزع مجانا فهي تخدم الادب السرياني وتصل الى شرائح كبيرة لمحبي هذا الأدب وحتى تكتمل الصورة وهذا هو جزء من السياسة الثقافية التي يتبعونها وتجعل ثقافتهم محصورة بينهم فهم يقيمون عادة مؤتمراتهم في كردستان وبشكل مستمر وبانتظام وتساعدهم حكومة كردستان على ذلك ،ولكن هذا لايساعد على انتشار الثقافة السريانية وتعريف القارىء العراقي بمعطيات الادب السرياني ،وملحمة كلكامش لم تكن بنت اليوم بل كانت اول علامة مضيئة في تاريخ البشرية ،وكذلك من الادب السرياني الذي قرأت بعضا منه ،اضافة الى ان الادباء السريان لايحاولون مع الصحافة العراقية في نشاطاتهم الثقافية ،ولايترجمون ادبهم السرياني حتى يطلع عليه الأديب الذي لا يعرف الأدب السرياني ،حتى نعرف الى اي مدى وصل الادب وماهي اعتباراتهم الادبية والإبداعية.

وكانت هناك مداخلات من قبل الادباء والحضور –من الشاعر عبدالحميد الجباري والمحامي طارق حرب –وعامر هرمز.

الميديا وفضائح فوضى الشرق الأوسط

■ علي شبيب ورد

سفر الحراك الاجتماعي الفائت، بشتى مجرياته وتداعياتها، يؤشر الدور الخطير للإعلام كمؤثر ساند أو محرّض لفعل القوى المحركة للأحداث، وتحديدا خلال الحروب المفضية الى منعطفات تاريخية خطيرة، وقد لعب الإعلام الغربي في حرب الخليج الأخيرة، دوراً فاعلاً ومنتجاً في توجيه الرأي العام العالمي والعربي والمحلي، بل ساهمت جرأته الكاشفة للخفايا، في تأجيج تداعيات الأحداث، وهو بسمته الفضائحية الموجهة من مراكز قوى صناعته، وبما توفر عليه من قدرات فكرية وفنية وتقنية، تمكن من تفكيك أفق التلقي. وخاصة لدى الرأي العام في منطقة الشرق الأوسط، عبر سلسلة صدمات مدهشة ومنبهة ومفككة لهرم منظومته التابعة لتعاليم القمة، تلك القمة المرعبة ذات القبضة الحديدية المتمسكة بشبكة موجهات حركة الرأي العام، والتي كرست تقاليد مجتمع يعيش ازدواجية مرضية، بين عالمين ظاهرٍ وباطن.

حول هذا المحور الثقافي المهم، يدور كتاب (أبـو غريب والإرهـاب والميديا) وهـو الكتاب الرابع للمترجم والكاتب (أمير دوشي) الصادر عن دار الينابيع في دمشق أكتوبر ٢٠٠٩، بعد كتبه الصادرة سابقا(بوش في أور) ٢٠٠٧و(الطريق الوعر إلى أور) ٢٠٠٨ و(مكيافيلي مؤمنا) ٢٠٠٩، والذي يحاول فيه الكاتب تعريفنا بحزمة أوراق إعلامية متنوعة لمجموعة من المحللين والخبراء الغربيين الذين حاولوا فيها متابعة تحولات السياسة الأميركية، وفق تناول شبكات الإعلام الغربي لأحداث الحرب على العراق عام ٢٠٠٣.

وقد احتوى الكتاب على جملة عناوين، نشر معظمها في أهم الدوريات السياسية المعروفة مثل الايكونومست والفورن افيرز وسواهما. أول عناوين الكتاب هو (أبو غريب والإرهاب والميديا) الذي يتضمن قراءة فاحصة لكتاب المفكرة (كيلي أوليفر) الموسوم (النساء كأسلحة حرب) الصادر عن جامعة كولومبيا ٢٠٠٧ والـذي يبحث في العلاقة بين الجنس والعنف في الثقافة المعاصرة.

في محاولة للإجابة عن الأسئلة التي تدور حول تأثير صور انتهاكات المجندات في سجن أبي غريب، على الرأي العام وما أثير حولها من تقارير صحفية وتأويلات إعلامية، وخلال تحليلها لصور مرتكبي هذه الانتهاكات، تثير أسئلة شتى، غير أنها تركز على نظرات وتعابير وجوههم التي تنم عن حالة الرضا بهذا الظفر والانتقام من الخصم، بفعلٍ هادفٍ لإذلاله، وبشأن هذا الأمر تقول: "إن هذه الصور تذكار لانتصار في حرب، تشير الى أننا ضمن حربنا ضدهم قد فزنا، نظرة الغنيمة أو رؤية تذكار الانتصار في صور هذه الحرب هي فقط جانب واحد من النظرة الإباحية، شخوص هذه الصور قد انتهكوا وحطّ من قدرهم، أذلّوا وعرّوا، وفيما كانت أجسادهم المستهدفة والمرتجفة تصوّر الى جانب أفراد الجيش الأمريكي المنتصرين، فان الرسالة الواضحة كانت: إن بإمكان الأمريكان أن يفعلوا ما يشاؤون لهؤلاء الغرباء، لأنهم مقاتلون أعداء) أما العنوان الثاني (من الواقعية الى الواقع الافتراضي) فقد تناول صور حروب أمريكا، وكيفية الإفادة من الصور الفوتوغرافية والفيلمية لدعم حركة قواتها العسكرية على الأرض سواءً في الحرب الأهلية أو الحروب الخارجية التي تهدف الى إظهار المقاتل الأمريكي بصورة مرعبة للخصم، ويجري تحليل لاهـم الـصـور المثيرة وأبـرز الأفـلام السينمائية.

فيما تـنـاول الـعـنـوان الثالث (مجتمع التقانة والحرية الفردية) التطور التقني للميديا، مستعرضا مساوئ ومنافع أجهزة المراقبة، وتحولها من رقابة فوقية الى تحتية بسبب انتشار أجهزة النقال بين الناس، وفي تناص جميل مع شخصية الأخ الأكـبـر فـي روايـة جـورج أوريـل (١٩٨٤) نقرأ(مجتمع المراقبة قادم، كما حذر طويلا المدافعون عن العزلة، لكنه لم يتخذ الشكل الذي تخيلوه.

فعلى نحو متزايد، ليس الأخ الأكبر هو الذي يراقب، بل كذلك إعداد كثيرة من الإخـوان الصغار) العنوان الرابع (قناة الجزيرة ومعركة الإعلام العربي) يبحث في دور اسلوب قناة الجزيرة الجريء في التعاطي مع الأحداث.

وبـروز ظاهرة التنافس بين القنوات الفضائية - البالغة ١٥٠ قناة- والتي أدت الى خلخلة جبروت الإعلام المركزي للدول العربية، وفتحت الفرصة أمام الرأي العام العربي للخوض في محرمات التابوات المفاهيمية على شتى الصعد، في حين يتعرض العنوان الخامس (القلم والسيف في المعركة) لتجربة المراسلين الحربيين، إذْ يبدأ بسؤال: هل يجب على الصحفيين حمل الـسـلاح؟ وهـو مقال للكاتب بـوب بـوس الـذي غطى الحرب الكورية وحرب فيتنام ونزاعات إفريقيا وحـرب العصابات في أمريكا اللاتينية وأمريكا الجنوبية.

ويكشف الـعـنـوان الـسـادس (التهديد الإرهابي الحقيقي أون لاين) عن صراع الإرادات خلال شبكة الانترنيت، لما يتوفر عليه هذا النوع (الميديوي) من إمكانات هائلة في تسويق البيانات دون موانع. وتم التركيز على خطر التهديد الإرهابي عبر شبكة الانترنت على الأمن والسلام العالمي، هذا المفهوم الإنساني الذي تسوقه الـدول الكبرى لمصالحها في اقتصاد السوق.

العنوان السابع (الـولايـات المتحدة والـعـراق والـحـرب عـلـى الإرهـاب) هو مقال لرئيس وزراء سنغافورة (١٩٥٩-١٩٩٠) يـسـتـعـرض فيه سياسة أمريكا الخارجية مع دول آسيا والـشـرق الأوسـط. الـعـنـوان الثامن (أنت وودورد، دليل القارئ الى كتاب حالة إنكار) يستعرض أهم مفاصل كتاب (حالة انكار) للصحفي ودورد والذي يكشف بعض تفاصيل الشجار اليومي والتشويش والأخـطـاء التي ارتكبها فريق الرئيس بـوش خلال حرب العراق. وذلك عبر مقتطفات من متن الكتاب، ففي واحـد منها يتضح التباين بين تصريحات بوش المتفائلة وتقارير هيئة المخابرات المتشائمة (هكذا يقول تقييم البنتاغون السري الذي أرسل الى البيت الأبيض، التنبؤ بعنف اكثر في عام ٢٠٠٧ يتناقض مع البيانات المتفائلة المتكررة للرئيس بـوش..) في العنوان التاسع (عرض لكتاب الحرب العظمى للحضارة، فتح الشرق الأوسـط) للصحفي (روبـرت فسك) الصادر ٢٠٠٥ الذي وظف فيه خبرته عبر مسيرة ثلاثين عاما مراسلا لصحيفتي التايمز والانـدبـنـدت في الشرق الأوسط.

وكتاب هذا الصحفي المخضرم (ليس فقط تسجيلاً لما شاهده وكتب منذ عام ١٩٧٦ في أفغانستان، لبنان، العراق، إيران، الجزائر، وغيرها من أماكن العنف والغبار، انما كذلك حكاية كيف استطاع الحصول على السبق الصحفي وتدبير رحلات الطيران، ورشوة الحراس، والعودة الى الوطن بالخبر المثير) ويذهب فسك في كتابه هذا الى: إن مهمة الصحفي هي كتابة المسودة الاولى من التاريخ.

في حين تندرج تحت العنوان العاشر (كولومبس المشوش) قـراءة لكتاب (العالم مسطّح، تاريخ مختصر للقرن الـحـادي والعشرين) للكاتب توماس فريدمان والـذي تعرض فيه لمصطلح (شعبوي) وسعى لإثبات أن العالم مسطح أي صغير، نتيجة الإمكانات الهائلة لتقنية الاتصالات، بينما يركز العنوان الحادي عشر (الصحافة وسرية مصادر المعلومة) على تداعيات محاكمة الصحفية جودت ميلر، التي سربت معلومات غير مدعومة عن امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، ويستبطن العنوان الأخير (المشكلة الكبرى) عـرضـاً نقدياً لكتاب (بوابة السفاك: أمريكا في الـعـراق) للكاتب جورج باكبر، وجاء في مفتتح العرض هذا التساؤل: غلطة من، فوضى الشرق الأوسط؟ وهل يمكن إعادة ترتيبه؟

ها نحن بعد هذا الاستطلاع الممتع لأوراق كتاب (أبـو غريب والإرهـاب والميديا) نقول: حقا لقد لعبت أجهزة الإعـلام (الميديا) بشتى وسائلها الناقلة للبيانات والمعلومات، دوراً نشيطاً في تأجيج الخلافات في وجهات النظر حول الأحداث وبالتالي تأزم المواقف وردود الأفعال، ولكنها في الوقت ذاتـه منحتنا فرصة للتأمل في كل الاحتمالات المناقضة لمسلماتنا واعتقاداتنا الراسخة، وتأتي أهمية هـذا الكتاب من طرحه أسئلة جوهرية حول سبل تبنينا مواقف حيادية نحسن من خلالها قـراءة عالم يتموج على بحر من صور، ولعله يطرّح فكرة جدوى تمتّع الإعلام بجرأة الموقف الحيادي، لإضاءة ما وراء خطابات مراكز القوى المعسولة، من خفايا وفضائح مجهولة.

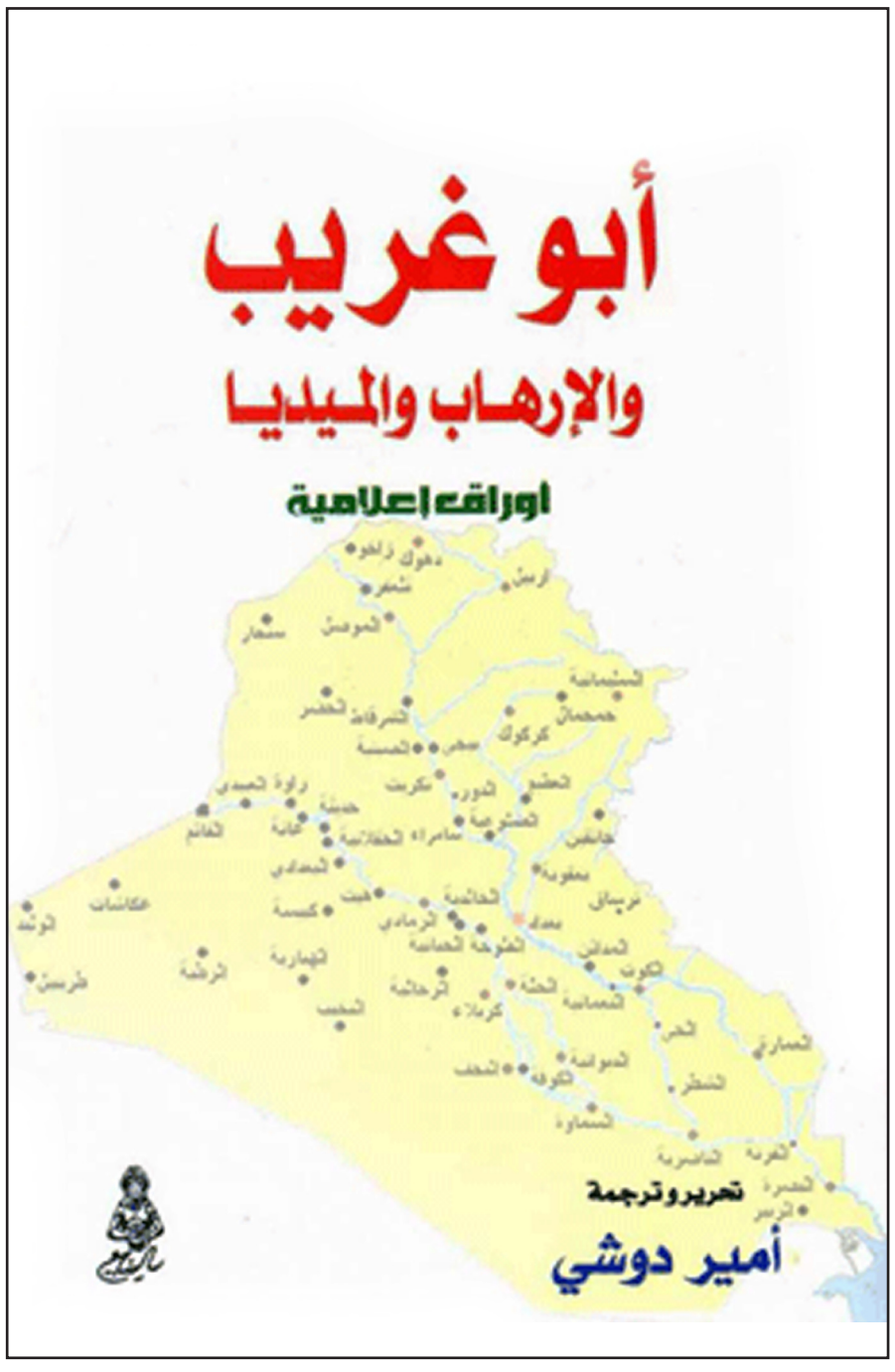

صورة "العدو" البشع في الدراما التلفزيونية العربية

"رجال الحسم" أنموذجاً!

■ **يوسف هداد**

في السينما الهوليوودية ظهرت شخصية "جيمس بوند" كبطل معادل للتوجه السياسي، للعقلية التي أدارت الصراع في سنوات "الحرب الباردة"، وهدفها تبشيع صورة العدو الشيوعي السوفياتي وحلفائه، واظهار غباء وتدني امكانيات الأجهزة المخابراتية لما عرف ايامها بدول "المعكسر الاشتراكي"، أمام القدرات الفذة لأجهزة المخابرات الغربية، ومثل ذلك ظهرت شخصية "رامبو" كمعادل سينمائي لتمرير وتجميل افكار تصدير العنف الامريكي الى كل مكان وضرورة ان تتدخل امريكا بجيوشها لحل مشاكل العالم بالعنف والقوة، ومثل ذلك ظهر على شاشات هوليود عشرات الابطال الذين يقدمون حلولا فردية لمشاكل العالم، ويروجون لصورة المنقذ الفرد الذي لا يهزم، ويبدو ان الدراما التلفزيونية العربية، سريعة الوقوع في فخ نمط الانتاج الهوليودي، خصوصا في انتاج البطل الرامبوي، الجيمسبوندي، الذي يقف بمفرده، اعزلا، الا من وسامته وعضلاته وذكاءه الخارق، في مواجهة مؤسسات العدو البشع بكل قوتها وجبروتها ويتمكن من خداعها والانتصار عليها. هذا ما يمكن تلمسه بسهولة في حلقات مسلسل "رجال الحسم "من اخراج السوري "نجدة اسماعيل انزور"، وسيناريو وحوار الكاتب السوري "فواز بشير"، وانتاج شركة الهاني وتلفزيون ابو ظبي، والذي عرض في شهر رمضان المنصرم.

يعد المخرج المتمرس "نجدة اسماعيل انزور" واحدا من اعمدة نجاح الدراما السورية، وعرف عنه أخراجه لاعمال تلفزيونية متميزة مثل "نهاية رجل شجاع" في عام ١٩٩٣ عن رواية للكاتب السوري المبدع حنا مينا.. يمكن القول ان أنزور بالعديد من أعماله التلفزيونية ساهم في قلب الموازين الفنية في سعي ناجح لكسر الشكل التقليدي في عملية الاخراج التلفزيوني، وذلك بتوظيف حرفيات السينما في العمل التلفزيوني وأعتماده على كاميرا واحدة في التصوير وما يعني ذلك من أهتمام ببناء اللقطة الواحدة في المشهد الواحد، وما يتطلبه ذلك من جهد من كل الكادر الفني لبناء كل لقطة وكل مشهد . هكذا قدم انزور للمشاهد العربي، في العديد من اعماله، رؤى بصرية جعلته في مقدمة المخرجين السوريين والعرب، الذين تمردوا على الاشكال التقليدية التي كرستها استديوهات القاهرة الفنية، والتي احتكرت مسلسلاتها شاشات التلفزيون في العالم العربي لسنين طويلة، الا ان أنزور وللأسف في المسلسل التلفزيوني "رجال الحسم" لم يوفق في تقديم عمل فني يرتقي الى مصاف اعماله السابقة، رغم الأموال المبذولة المعلن عنها، والجهود الإنتاجية في التدقيق في تفاصيل الديكورات والاكسسوارات والملابس والسيارات، واخراج المعارك بمساعدة خبراء اجانب، وحشد كوكبة متميزة من الممثلين السوريين والعرب. ورغم بعض الومضات الاخراجية التي حملها المسلسل، بحكم الخبرة والمهارة المتراكمة، الا ان المسلسل لم ينجح في ابراز امكانيات المخرج انزور الاخراجية التي عرفت عنه. فمن أجل شد الجمهور وخلق حالة من التشويق لمتابعة الأحداث، اعتمد المسلسل حبكة ذات طابع بوليسي، الا انها لم تنجح كثيرا، فالمسلسل الذي استمر لمدة ثلاثين ليلة، بثلاثين حلقة، كان بالإمكان اختصاره الى عشر حلقات ان لم يكن اقل، اذ كان واضحا ان العاملين على المسلسل ارادوا الدخول في سوق المنافسة الدرامية الرمضانية، وليكون بثلاثين حلقة بأي صورة، فعمدوا الى مط العمل واطالته من خلال مشاهد الاسترجاع "الفلاش باك "، التي اضجرت المشاهد لكثرة تكرارها، خصوصا حلقاته الأخيرة، حيث لم يخدم الاسترجاع البنية الدرامية للمسلسل الا في حالات معدودة، ومثل ذلك كانت الاطالة غير المبررة فنيا لمشاهد حفلات الزواج.

مسلسل "رجال الحسم" بمحصلته النهائية جاء نسخة سورية باردة من المسلسل المصري "رأفت الهجان" (إخراج: يحيى العلمي، إعداد وسيناريو وحوار: صالح مرسي، إنتاج: قطاع الإنتاج بإتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري عام ١٩٨٩)، واذا كان الظرف السياسي الذي انتج فيه مسلسل "رأفت الهجان" ساعد على نجاحه، حيث أيامها كانت هناك حالة احباط في الشارع العربي، ترافقت مع حاجة لتبيض صفحة المخابرات المصرية امام الاتهامات بتخاذلها والحكومات العربية امام العدو بعد رفع علم أسرائيل في سماء القاهرة، إضافة الا ان احداث المسلسل بناها الكاتب المصري "صالح مرسي" استنادا الى قصة حقيقية لعميل مخابرات مصري عمل داخل اسرائيل (ثبت أن اسمه الحقيقي رفعت علي سليمان الجمّال ١٩٢٧ - ١٩٨٢) واعترفت بوجوده حتى المخابرات الاسرائيلية، وان حاولت التقليل من نشاطه ونتائج عمله، وقد بذلت المخابرات المصرية ـ في حقيقة الاحداث وفي المسلسل التلفزيوني ـ جهودا متواصلة في تدريب العميل الجمّال ومتابعته وتزويده بالمعلومات واسناده بمختلف الطرق، فأن مسلسل "رجال الحسم" جاء ليقدم لنا قصة مدرس لغة عربية من اهالي القنيطرة، أسمه "فارس محمد صوفان"، وأدى دوره الممثل السوري " باسل خياط "، اقتحم إسرائيل وزرع نفسه هناك بجهوده الشخصية، دون اي دعم مخابراتي مؤسساتي، واعتمادا فقط على شعوره القومي وغضبه وذكائه الأخاذ ووسامته حيث تنجذب اليها النساء على غرار جيمس بوند ورأفت الهجان، وأيضاً خبراته الجسدية والقتالية كونه خدم في سلك المغاوير في الجيش السوري واشترك في حرب حزيران ١٩٦٧، وشهد احتلال الجولان وضياعها، فنذر ان يقوم بعمل وطني ما، وأمام رفض القيادة السورية السماح له بالقيام بعمل فدائي داخل إسرائيل، بسبب الحاجة له كمعلم، يقرر السفر الى اوربا بمفرده للتفكير من هناك بعمل ما نوعي ضد العدو الإسرائيلي.

من بداية أحداث مسلسل "رجال الحسم" ونحن نرى البطل المعلم فارس غاضبا من تردي الاوضاع السياسية في سوريا والبلدان العربية، وهو يتنبأ لنا بالهزيمة امام العدو، ففي حوار له مع زميل معلم وهما يتفرجان على تلاميذ المدرسة يلهون بكرة قدم، يتساءل فارس: "ما حدا عرفان شو ينتظر هذا الجيل، خايف على وقتهم يكون لعب "، ويضيف: "الحياة بحاجة الى عمل اكثر من حاجة للعب خصوصا في ظروفنا"، وطوال حلقات المسلسل يشارك العديد من شخصيات المسلسل بطل المسلسل فارس في تذمره، ويطلقون الأفكار عاليا: "بدنا واحد مثل صلاح الدين حتى يرجع فلسطين"، أو بشكل محدد وواضح كما جاء في الحلقة الثانية عشر: " الحاجة الى قيادة قوية تمسك الامور بحزم وتضع النقط على الحروف "، وعندها نفهم ان المسلسل يمهد لحدوث الانقلاب العسكري الذي قام به الرئيس السوري السابق حافظ الاسد في عام ١٩٧٠ والذي عرف بأسم " الحركة التصحيحية"، ومادام المسلسل أنتهى بنهاية مفتوحة دون حسم نهاية احداث القصة ولم نشهد فيها قيام "الحركة التصحيحية"، فنحن يبدو سنكون بأنتظار جزء ثان، ان لم يكن عدة اجزاء على غرار موجة ومودة المسلسلات الرمضانية في السنوات الأخيرة، وفيها أتوقع اننا سنرى قيام "الحركة التصحيحية" ونرى بالطبع احداث حرب تشرين . وارتباطا بهذا التمهيد السياسي الذي قدمه المسلسل لحدث مثل "الحركة التصحيحية" يرتبط قيامه بحزب البعث السوري، فأن المسلسل الغى نضال ومعاناة كل الاحزاب السياسية والقوى الوطنية السورية، وسلط لنا الضوء على نضال البعثيين السوريين فقط، الذين لم يقدمهم بالاسم مباشرة، ولكن كان واضحا في الاشارة اليهم من منطلقات احاديث ونقاشات شخصيات المسلسل ذات

عند كل الشعوب والأمم، يوما بعد اخر تزداد تعقيدا مهمة معرفة "العدو"، خصوصا من الداخل، فهي وان كانت مهمة قديمة، الا انها ومع التطور الحضاري والتكنولوجي الحاصل، أخذت إبعادا أكثر علمية وشمولية، فالنجاح والانتصار والمواجهة مع اي "عدو" صارت تتطلب فهمه بشكل عميق وشامل قبل الاقدام على اتخاذ أي قرار في مواجهته، لم يعد ممكنا الحديث عن "العدو" بصيغ مكررة وسطحية استهلكت كثيرا في وسائل الاعلام والاعمال الادبية والفنية، الامر هنا ينطبق تماما على قضية الصراع العربي الإسرائيلي، إذ لم تعد مقنعة ابدا تلك الصيغ الاعلامية الجاهزة والمدفوعة بشحنات عاطفية وتعصبية عند الحديث عن العدو الاسرائيلي الغاصب الذي يواصل سياساته العدوانية ضد الشعب الفلسطيني.

ان دراسة "العدو" ومعرفته، صارت عند شعوب العالم مهمة منوطة بمراكز البحوث والدراسات المتخصصة التي تدعم بشكل مباشر وتغذي خطط العمل وترسم المفاهيم للمؤسسات التربوية والاعلامية والسياسية، وان مهمة الغوص في المجتمع الاسرائيلي وفهم عمل مؤسساته والتفاعلات الاجتماعية والسياسية داخله لا يكفيه التسلح بالنوايا الطيبة في انجاز أي عمل أكاديمي او ادبي او فني عنه، خصوصا الأعمال الفنية الدرامية التلفزيونية.

الفكر القومي، وبذلك يكون المسلسل هنا، قد ابتعد عن الحيادية والموضوعية في رواية التاريخ، بل يمكن القول وقع في مطب يمكن أن يسمى تزوير التاريخ، وتجييره لصالح فئات سياسية محددة، فالبعثيون في مسلسل "رجال الحسم" وحدهم هم من لوحقوا وطوردوا واختفوا عن الانظار، وتحملوا مع عوائلهم كل هذه المعاناة بانتظار قدوم "المخلص" الذي سيضع النقاط على الحروف !!

في كل عمل فني، سينمائي او تلفزيوني ناجح، تكون منطقية الاحداث هي ما يشد البناء الفني، وما يجذب المشاهد للمتابعة، فأين نحن من هذا في حلقات مسلسل "رجال الحسم" مع المعلم فارس ـ الذي في الاعلانات واللقاءات الاولى مع الكاتب عن قصة المسلسل كان أسمه "شحادة" ولا يخفى سبب تغيير اسمه الى "فارس" فيما بعد، الذي قدمه لنا المسلسل في الحلقات الاولى مقنعا في اجادته اللغة العبرية، حيث رأيناه مرارا يقرأ كتبا وروايات بالعبرية، بل رأيناه يقدم خدمات للجيش في الجولان في قراءة الكتابة العبرية على نصل حربة عسكرية اسرائيلية تعود لاحد جواسيس اسرائيل في مدينة القنيطرة عثر عليها افراد الجيش السوري، وهكذا حين اختلط باليهود خارج وداخل إسرائيل، لم يستغرب المشاهد من اجادته للغة العبرية، ولكن فارس حين انتقل من سوريا الى المانيا بحثا عن فرصة للقيام بعمل وطني ضد إسرائيل، وانتحل هوية "ايشاك" اليهودي البولوني المفقود، بمساعدة الألمانية "كروس" صاحبة الفندق المغرمة والمفتونة به، لم يكن هناك أي تمهيد لإجادته أكثر من لغة أجنبية، واذا تسامح المشاهد ولم يعترض على أجادة فارس المفاجئة للغة الألمانية، فأننا لابد ان نلاحظ انه لم يكن ثمة قلق عند الكاتب او المخرج من توجس المشاهد من ان يلتقي البطل فارس بمن يجيد اللغة البولونية سواء في الفندق او في محل عمله في البار، بل ان المخابرات الإسرائيلية، التي عرفت بشدتها في تقصي المعلومات عن عملائها، لم تبذل جهدا في هذا الامر، وظل فارس طول المسلسل يزور الكنيس اليهودي في برلين دون أي خوف من اللقاء بمن يجيد اللغة البولونية، ولم يكن متوجسا من إمكانية ان يوجه له سؤالاً باللغة البولونية خلال امتحان جهاز كشف الكذب، الذي اجري له في تل أبيب، من قبل خبراء الموساد، أما مشهد الاختبار بجهاز كشف الكذب فقد كان من اضعف المشاهد في المسلسل، بل يمكن القول انه كان كاريكاتيريا في تنفيذه ودرجة اقناعه للمشاهد، حيث نرى فارس مدرس اللغة العربية ودون أي إعداد وتدريب ـ سوى كونه من المغاوير ـ يتجاوز امتحان جهاز كشف الكذب بالجواب على اسئلة تؤثر في أدق الشعيرات العصبية في جسده، بل جلس الممثل "باسل خياط" عاري الصدر، مثل رامبو أو المدمّر، امام جهاز كشف الكذب، وكأن ذلك يكفي ليطيح بخبراء الموساد سؤالا بعد اخر وكأنه في امتحان التربية القومية في بلده سوريا.

أن مسؤولية مواجهة العدو بكل وسيلة، ومنها الاعمال الدرامية الفنية، لكشف عدوانيته ووحشيته، لا تكفي لتكون سببا للوقوع في ذات المطب الذي تميزت به اعمال هوليوودية طالما انتقدت من قبل نقاد الفن الجادين، حيث نرى صورة العدو سلبية وبشعة على طول الخط فقط من اجل ان نقول انه سيء . في مسلسل "رجال الحسم" رأينا كل ضباط جهاز الموساد، الذين ومن اجل غاياتهم الشخصية، او من اجل خدمة دولتهم اسرائيل، يعيشون ويعملون في جو كامل من الفساد الاخلاقي والخيانات المتبادلة، ويمارسون اعمال القسوة والغدر، مع بعضهم البعض، بدون اي عاطفة او احترام وثقة لبعضهم البعض، فضابط الموساد "ايفال" (لعب دوره الممثل الاردني ياسر المصري) تطلب منه زوجته سارة أو ميراج (لعبت دورها الفنانة اللبنانية مايا نصري)، ان يقيم علاقة مع زميلتها المنافسة لها "آن"، لإبعادها عن طريقها، وتطلب منه مباشرة ان ينام معها لو تطلب الامر، وتذكره كيف انه سبق وبنفسه قدمها لفراش الجنرال من اجل ان يصل الى ما يريد، وهكذا بقية ضباط الموساد، الذين لا يمكن ان نتلمس فيهم اي جانب اخلاقي إنساني، فكل واحد منهم رأيناه يراود زميلة له عن نفسها او يشتهيها لنفسه ويخطط للاستحواذ عليها، ليقودنا المسلسل، الى ذات الحالة التي طالما ضجرنا منها في الاعمال الهوليوودية، حالة تقديم صورة العدو البشع السيئ الغبي على طول الخط.

من جانب آخر، يقع المسلسل في مفارقة تناقض واضحة للمشاهد، اذ نرى بطل المسلسل، فارس، المعلم السوري، يخوض علاقات الحب المتعددة، ويجمع فيها عدة نساء في آن واحد، وبكل ثقة نراه يوزع قلبه وكلمة حبيبتي على اكثر من امرأة، وذلك من اجل قضيته السامية التي نذر نفسه لها، فهو يقيم علاقة عاطفية مع الالمانية "كروس" صاحبة الفندق، ويكتب من فندقها رسائل حب مترعة بالروح الوطنية والهيام الى حبيبته سلمى في دمشق، وينتحل أيضا دور العاشق مع ميراج ضابطة الموساد التي من اجل تجنيده تزوره الى غرفة نومه، لكن كل ما يفعله فارس مباح اخلاقيا ما دام يخدم قضيته الوطنية! وفي الوقت الذي الصق المسلسل كل الصفات السيئة الاخرى بالشخصيات الإسرائيلية ـ التي لا نعرف لماذا اغلبية لقاءاتها كانت في البارات والمراقص ـ كنا نتابع المشاهد والمواقف التي تعكس لنا فرادة وتميز البطل فارس، عن ثقافته ووعيه القومي، عدم ثقته بالاذاعات الأجنبية، شجاعته في القتال، شهامته في انقاذ زملائه الجرحى، حذره الشديد، سرعة المبادرة، إجادة التعامل مع النساء، ذكاءه المفرط في حبك علاقته بضباط الموساد وتأجيج الصراع فيما بينهم، الهدوء وبرودة الاعصاب والقدرة على السيطرة على مشاعره عند قتله الجاسوس اسحاق أو أبو عروج (أدى دوره الفنان السوري أيمن رضا) وعميل الموساد زيفاي (ادى دوره الفنان السوري محمد الأحمد)، وليس أخيرا اعجاب النساء وهيامهن به اينما ذهب ! أننا نرى صورة مسطحة للشخصيات، اما سيئة جدا او طيبة جدا، دون ان تملك عمقا يفرضه الواقع والمنطق.

وفي الوقت الذي بنى المسلسل إحدى عقد تطورات الأحداث على خطأ ضابط الموساد "أيفال" المتمرس وذي الخبرة الطويلة، وذلك عند إفشائه سر طبيعة مهمته باغتيال شخصيات مناضلة فلسطينية خلال وجودها في اوربا الى احد العاملات معه في الموساد، مما سبب غضب مرؤسيه عليه، وكلفه هذا الخطأ القاتل ـ من وجهة نظرمرؤسيه ـ كل تأريخه وخدماته العديدة المتميزة، بل بالتالي تسبب في مطاردته ومحاولة قتله، الذي يحصل في المسلسل أن "ايفال" ذاته وبكل بساطة، وثم ميراج الكولونيل في الموساد، ذاتها التي تطارد زوجها لمعاقبته على خيانته وافشاء اسرار الموساد، بكل سهولة يخبرون أيشاك البولوني (فارس) بأنهم ضباط في جهاز الموساد لمجرد انه قدم لهم بعض الخدمات، وهو يعرض نفسه لهم بأنه مجرد يهودي باحث عن فرصة عمل!! وقدم المسلسل مشهد اعتراف ضابطة الموساد ميراج لفارس بأنها كولونيل في جهاز الموساد، بغاية الغنج والدلع وكأنها تخبره بأنها من البرج الفلاني . ايضا ترددت كلمة "الموساد " كثيرا على لسان الشخصيات الإسرائيلية، داخل وخارج إسرائيل، والمعروف جيدا من اعترافات وسيرة حياة منشقين عن هذا الجهاز الجهنمي، انه من تقاليد جهاز الموساد الصارمة انهم لا يستخدمون كلمة "الموساد" في احاديثهم وحتى في المراسلات الرسمية، وتوجد هناك عدة بدائل لهذه الكلمة يتم اختراعها، ويتم تدريبهم على عدم استخدام هذه الكلمة .

ولم تنفع حبكة المسلسل استخدام احداث واقعية، تم ذكرها عرضا خلال الأحداث، مثل خبر تجنيد الطيار العراقي منير روفا، الذي هرب الى اسرائيل قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ بطائرته المقاتلة الميغ السوفياتية الصنع، ولا حكاية خطف السفينة شيرزبرغ في ١٢/ آذار/١٩٦٨، وعلى متنها ٢٠٠ طن من اوكسيد اليورانيوم من ميناء هامبورغ عبر المياه الاقليمية لهولندا وبلجيكيا، وعبر مضيق جبل طارق وعبر البحر الابيض المتوسط وصولا الى ميناء حيفا، اذ لم تكن هناك حبكة درامية منطقية مقنعة يمكن توظيف هذه الحكايات لإسنادها، فجاءت مجرد اخبار بدون أي فعل درامي، بل ان المسلسل وقع في مطب الخلط في استخدام الاسماء المتعددة لبعض شخصيات المسلسل، فضابطة الموساد سارة او ميراج، راح فارس وعدة مرات يناديها بالاسمين امام من يفترض معرفتها بالاسم الثاني فقط، وكذا الأمر مع ضابط الموساد ايفال الذي انتحل في المانيا اسم وليم هارفي، وهناك العديد من الملاحظات التي يمكن الاشارة اليها وتفصيلها تتعلق بأحداث وردت في المسلسل، علما اننا توقفنا في ملاحظاتنا فقط عند الحكايات التي تتعلق بجهاز الموساد الإسرائيلي، ولم نتناول بقية الحكايات التي وردت في المسلسل وجرت في الجولان او دمشق والتي تحرك فيها شخصيات سورية لها علاقة بالبطل فارس .

ان النوايا الطيبة لا يمكن ان تقود دائما الى نتائج طيبة، هكذا رأينا ان تناول جهاز الموساد الإسرائيلي، الذي يعتبر واحدا من اهم وانشط اجهزة المخابرات في الشرق الأوسط، ان لم نقل في العالم، والذي نفذ بنجاح كذا من العمليات المخابراتية الغادرة والمجرمة في اطار الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكن الغوص في اعماقه لفهم اليات عمله بهذا الشكل السطحي.

ان السعي لفضح الموساد وبيان جرائمه كأداة حرب، وتبشيع صورته امام المشاهد العربي تحت باب "اعرف عدوك "، جعلت صناع مسلسل "رجال الحسم"، يقعون في مطبات عدم منطقية الكثير من احداث المسلسل التي جاءت خاضعة لمجريات المصادفة وعدم إقناع المشاهد بواقعيتها ومنطقيتها، ان السعي لتحقيق انتصارات تلفزيونية على العدو الإسرائيلي، بهذا الشكل تبدو ليس اكثر من اسلوب تعويضي عن الشعور بالهزيمة المدمر الذي يخيم على الشارع العربي، ولكن تقديم رؤية فكرية وفنية تناسب رؤية هذا الطرف الحزبي والحكومي، لا يمكن ان تخدم عملية استنهاض الوعي القومي ولا النضال من اجل حقوق الشعب الفلسطيني والعربي، بل تدفع بالمشاهد الواعي الذي مل سياسات الحكومات العربية، ويلجأ لإطفاء جهاز التلفزيون عند عرض خطابات حكامه، الى غلق جهاز التلفزيون ايضا عند عرض هكذا اعمال فنية لا تلامس العمق.

قـــــراءة فـــي عـــمـــارة الحـــد

(١-٢)

■ د. خالد السلطاني*
معمار وأكاديمي

الى: علي الشوك

ثمة أحداث كثيرة أفرزت عوامل متباينة في أهميتها ومتنوعة في خلفياتها، ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وأثرت بعمق في منتج الممارسة المعمارية في العراق، وإذ قدرّ لنا ان نصف الفترة السابقة المحصورة بين بداية العشرينيات، حيث تأسست الدولة الحديثة، ولغاية الحرب الكونية الثانية؛ بانها الفترة التي أسست للحداثة المعمارية بالعراق، فان الفترة اللاحقة المحددة زمنيا بعقد واحد تقريباً: والممتدة من نهاية الأربعينيات الى نهاية الخمسينيات، هي "الحلقة" الثانية من حلقات "موجة" التحديث الأولى، لكنها بالطبع، تختلف عن سابقتها، ليس فقط في نوعية أساليب المنتج التصميمي وانما، وهذا هو الأهم، في المرجعيات الفكرية المؤسسة لأساليب تصميمية مغايرة.

عندما مارست الحداثة دورها التنويري في تكريس ذائقة جمالية جديدة للمنتج المعماري أبان الفترة الأولى، كانت الممارسة المعمارية المحلية وقتذاك غارقة في سكونيتها وثباتها على أشكال معمارية محددة، مكتفية باجترار رتيب للتقاليد البنائية المتوارثة. تخللها بين الحين والآخر، تجريب جرئ انعكس في نماذج مميزة جسدتها عمارة المساجد الجامعة، ولاسيما في تغطياتها القبيبة.

وشهدت الفترة اللاحقة نتائج ذلك "العصف" التجديدي، بظهور سلسلة من مبان عديدة مصممة وفق رؤى ذلك التجديد، لكنه تجديد مابرح ان ظل وفياً لذائقته "الكلاسيكية"، اذا جاز لنا التعبير؛ ذلك لان تلك الذائقة تطلعت لان تتصادي مع أطروحة حركة "الفنون والحرف" Arts & Crafts المعروفة في انكلترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر. من جانب آخر، وصلت حلقات موجة الحداثة اياها في عقدين من النشاط التصميمي المكثف، الى آخر مداها، وقد فقدت الكثير من حيويتها وطزاجتها، مهيئة المشهد المعماري لما بعد الحرب، لظهور موجة أخرى من التحديث، سوف تستثمر تداعيات الأحداث المستجدة، لتؤسس لنفسها مناخاً إبداعياً سيرهص بالجديد، ويهجس بالمختلف عن كل ما تم إنتاجه سابقاً.

وإذ نحن نتحدث عن عراق ما بعد الحرب العالمية الثانية، فاننا نعي مدى انتشار وأهمية مفهوم التحديث في المشهد الثقافي، وتغلغله في أجناس إبداعية متنوعة، شملت إضافة الى العمارة، الشعر والأدب والفن والموسيقى والصحافة والتعليم، وكل ما يمت بصلة الى الشأن الثقافي. كانت مزايا التحديث، وخصوصا تحديث البيئة المبنية ظاهرة للعيان في العقد الذي سبق الفترة التي نتكلم عنها، اذ توسعت بغداد باعتبارها مختبراً معماريا تجريبيا وطليعيا لجميع مناطق العراق الأخرى، وأضيف الكثير الى تحسين بيئتها وأنشئت مناطق سكنية حديثة، وتم مد شوارع جديدة، رافقتها حملة واسعة من تصاميم وتنفيذ مبان بوظائف مستجدة.

لقد نظر كثر بايجابية مشوبة بالارتياح الى التغييرات الكبرى التى طرأت على مدينتهم وبيئتهم، من هنا كان التجديد المسكون بالتغيير، امرا مألوفاً وحتى مفضلا في المشهد الثقافي يديمه تطلعات النخب التواقة للتجديد والمغايرة.

كان المعماريون العراقيون العاملون وقتذاك، يعون أهمية اللحظة التجديدية إياها، ويدركون استحقاقاتها الإبداعية، لكن ثقافتهم المعمارية، وهم بالإجماع (على قلتهم) خريجو المدارس البريطانية، كانت تقف حائلاً في اجتراح لغة معمارية جديدة تتساوق خصوصيتها مع أهمية الحدث الراهن يومذاك، ذلك لان مرجعيات تلك الثقافة انتمت، كما هو معروف، الى مدرسة فكرية مبنية على قيم وأفكار المقاربات الكلاسيكية، او بالأحرى الـ"نيو" كلاسيكية الشائعة، حينها، في الخطاب المعماري الانكليزي.

صحيح ان تلك المدرسة الفكرية لم تقف موقفاً معادياً بالمطلق "لهزات" الحداثة وتجديداتها التي شارك في إبداعها المعماريون الألمان والروس والفرنسيون؛ لكنها ظلت بشكل عام، بمنأى عنها وعن تأثيراتها القوية، وهو ما انعكس جلياً على منظومات مناهج التعليم المعماري، الذي في كنفه أستقى المعماريون العراقيون مبادئ تلك المناهج وقيمها التى بدت وكأنها ثابتة، غير قابلة للتغير او المساءلة.

ثمة تعارض، أذاً، بدا واضحاً بين خصوصية الممارسة المعمارية المحلية ومتطلبات المرحلة التى تنزع الى تجسيد مادي لها. لم يكن حل تلك الإشكالية مرضياً، كما تبين ذلك لاحقاً، عن طريق "استيراد" نماذج لمخططات معمارية من دول الجوار او الإقليم، وكانت تجربة ممارسة المعمار المصري في تصميم "عمارة الدامرجي" (١٩٤٦-٤٨)، مؤثرة فقط لجهة طبيعة حلولها الإنشائية، أكثر بكثير من نوعية لغتها المعمارية، الموسومة معالجاتها بتطبيق صريح للفراغات الوظيفية، وهي في الواقع صدى لمعالجات شائعة في العمارة المصرية ولاسيما في مباني القاهرة، (على الرغم من ان الحل الإنشائي هو الذي يسر إمكانية اجتراح علوّ لم تعرفه مباني بغداد المدنية سابقاً، ما جعل من ارتفاع "عمارة الدامرجي" غير المسبوق لان يكون حاضرا بقوة في المخيال الشعبي لعقود عديدة من السنين، مع ان ارتفاع المبنى لا يتجاوز ستة طوابق فقط!)، وكان يمكن أن يكون دور "فيليب هيرست" Philip Herst ، المعمار الطليعي الموظف في مصلحة السكك الحديدية وقتذاك في الأربعينيات، أكثر وضوحا وتأثيراً في الممارسة التصميمية المحلية، وخصوصاً وقد وجد في "عبد اللّه إحسان كامل" (١٩١٩-١٩٨٥)، المعمار الشاب المتفرد في خلفيته التعليمية المعمارية، والغاص بهوى الحداثة، مساعدا ونصيراً في مسعاه التجديدي. لكن طبيعة الاعمال المنوطة بهما ومقياسها المتواضع، حالت دون ان تؤثر تأثيرا عميقا في الممارسة المعمارية المحلية.

لقد اغتنمت هذه الفرصة، فرصة إيجاد لغة معمارية مغايرة تنسجم مع استحقاقات فترة زمنية تتطلع للتعبير عنها معماريا، اغتنمتها "الين جودت الايوبي" (١٩٢١) Ellen Jawdat Aubbi، الآتية تواً من أمريكا مع زوجها " نزار علي جودت الأيوبي" (١٩٢٠). وكان مبنى " مشغل الهلال الاحمر" في العلوية (١٩٤٩) التجسيد المادي للأجواء السائدة في الخطاب الثقافي العراقي يومذاك. ومنه، من عمارة هذا المبنى حازت المعمارية، الأمريكية المنشأ والعراقية بحكم الزواج، شهرة واسعة، أهلها لان تكون رائدة الحداثة المعمارية في نسختها الإقليمية، وصاحبة تصاميم مميّزة، وحداثية ذات مرجعيات فكرية متضادة ومتقاطعة تماما مع المقاربات التصميمية السابقة. وتسعى هذه الدراسة، الاشارة الى بعض تلك التصاميم الحداثية، وتتطلع عبرها الى قراءة جديدة في تقصي جذور الحداثة المعمارية بالعراق.

درست "الين الأيوبي" في "هارفارد" ونالت منها شهادة الماجستير بالعمارة، بعد ان تخرجت في "كلية فاسار" في نيويورك سنة ١٩٤٢ حيث درست فيها تاريخ الفن، كما نال

اثـــــة بـــالـــعـــراق

زوجها "نزار الأيوبي" الماجستير ايضا من هارفارد (١٩٤٦)، هو الذي درس العمارة في البدء بجامعة كامبردج بانكلترة، (١٩٣٩-٤٠) ثم الاقتصاد في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩٤٠-٤٢)، (رفعة الجادرجي، الاخيضر والقصر البلوري، ص. ٢٦-٢٧).

كانت مدرسة "هـارفـارد" وقتها حاضنة لمفاهيم عمارة الحداثة في الولايات المتحدة، حالها حال "معهد الينوي التكنولوجي" في شيكاغو؛ اذ ترأس ادارة المدرستين إثنان من أشهر معماري الحداثة ومؤسسيها وهما، "فالتر غروبيوس" (١٨٨٣-١٩٦٩) W. Gropuis ، للأولى و"لودفيك ميس فان دير رو" (١٩٦٩-١٩٨٦)L. Mies van der Rohe للثانية، كان تأثير غروبيوس على طلابه كبيراً، زارعاً لديهم حب عمارة الحداثة في مقارباتها الوظيفية، وكانت وسائل التأثير والتعليم مختلفة، منها طبيعة المنهاج الدراسي الجديد الحافل مفرداته بمتوازيات مع منهاج "الباهوس" الشهير الذي أسسه ورأسه غروبيوس نفسه في العشرينيات بألمانيا، والاطلاع على نماذج اعماله المعمارية المنفذة في الأرض الأميركية، فضلا على الإحاطة المعرفية العميقة لنماذج عمارة الحداثة المبتدعة من قبل آخرين في القارة الأوروبية (وعن أهمية النقطة الأخيرة تحديداً، وتأثيراتها على تشكل "الين الأيوبي" المعماري، سوف نشير بصورة خاصة لها، لاحقا في هذه الدراسة).

في اختصار، اذاً، جرت عملية "تغذية" مبادئ عمارة الحداثة وتعلمّها لطلاب هارفارد على مستويات مختلفة: نظريا وتطبيقياً، ما جعل من تقبل قضايا تلك العمارة وإدراكها، امراً سهلا وعميقاً في آن، وضمن تأثيرات الرؤى المعمارية الجديدة إياها، استوعب الزوجان الخريجان: الين ونـزار الأيـوبـي الـدرس الـحـداثـي بنسخته الوظيفية، وبنيلهما شهادتيهما العليا المعمارية، قفلا راجعين الى العراق. عُيّن نزار في مصلحة السكك الحديدية، ثم انخرط لاحقا في عمل تجاري خـاص؛ ومارست الين النشاط المعماري الحرّ، كانت الأجواء الثقافية البغدادية، كما أسلفنا، مترعة بتوق التغيير، وكان الخطاب التجديدي ينطوي، وقتها، على ثقة كبرى بالتقدم الإنساني ايا كان مصدره، نتائجه التي تطلع كثر من المبدعين لان تكون جزءاً عضوياً من تشكيلات المناخ الفكري المحلي، من دون ان يقعوا في "وهم المماثلة" بلغة "ادونـيـس" مع تلك النتائج.. بتعبير آخر، راهـن كثر مـن المثقفين على أمكانية النهل من اللحظة الثقافية الغربية في أشد لحظات توترها الابداعي الخلاق، وكان هذا الرهان غير متصل بهاجس الخوف المركب على الهوية او ما يسمي بالخصوصية كما هو رائج الآن، ذلك لان مثل تلك الهواجس التي سوف تستشري مرضياً في المجتمعات العربية لاحـقـاً، والمنادية بالتخلي عن التحديث والإصلاح وإقصاء فكر الحداثة، التي تختفي خلفها عادة قوى ومصالح وأهداف تدفع بإصرار لتبني أفكار وقيم غارقة في ماضويتها وسلفيتها، لم يكن لها تأثير رائج او حتى قبول في الخطاب الثقافي وقتذاك، وهي لم تلقَ اذنا صاغية لا من المجتمع نفسه، ولا ،طبعا، من نخبه الثقافية على وجه الخصوص.

عندما وافقت "الين الأيوبي" على إجراء تصميم مبنى "مشغل الـهـلال الأحمر"، كـانـت تبتغي مـن تلك الموافقة انجاز عمارة متميزة للمبنى المقترح، يمكن بها تحقيق رؤاها التصميمية وإظهار انتمائها لأفكار عمارة الحداثة. فالحدث التصميمي المنتظر، يراد منه تبيان سهولة "توطين" الحداثة المعمارية في لحظتها الإبداعية المتجددة؛ الحدث المؤسس لخطاب معرفي وفكري جديدين. بيد ان عملية التأسيس ما كان لها أن تكون أصلاً، لولا وجود ركيزتين أساسيتين، يحددهما أحد الباحثين بـ "حرية التفكير والممارسة، والثانية حرية الوصول والإيـصـال"، وهو ما توافر للمعمارية في حينه. إذ انطوت الفترة الزمنية وقتها بخلوها التام من اي نوع من أنواع ثقافات "التابوات" التي طالما وقفت في وجه التجديد والحداثة؛ ما منح الفكر التائق للممارسة والتجريب أفاقاً واسعة لجهة حرية تبني مقاربات إبداعية وجد فيها كثر من المبدعين ذات فائدة قصوى للثقافة وللمجتمع، برغم ان مصداقيتها قد اختبرت في كنف ثقافات أخرى، فما هو ايجابي ونفعي هناك، لا يمكن، وفقاً لقناعتهم، الا ان يكون ايجابياً ونفعياً هنا، "فالحق لا يضاد الحـق" بحسب أطروحة "ابن رشد" (القرن الثاني عشر) المتقدمة كثيراً على زمانها، وفيما يخص الركيزة الثانية، فقد وظفت "الين" ببراعة طبيعة المبنى كمشغل لجمعية الهلال الأحمر، ومكان تواجد النخب النسائية وانهماك تلك النخب بالعمل التطوعي فيه، لإيصال مفاهيمها الحداثية عبر عمارتها التي سيكون "أنموذجها" Paradigm حدثاً راسخاً، مقروءا ومنظوراً من الجميع، ويفترض ان يكون قريبا منهم: مثقفين او ناس عاديين.

يقع مبنى مشغل الهلال الأحمر في إحدى الضواحي الجديدة للعاصمة العراقية، ذات التخطيط الحديث، المتسمة عمارتها على لغة تصميمية حداثية، مقارنةً بفترتها، فترة الثلاثينيات، التي بها شرع في تخطيط تلك الضاحية، والمبنى بموقعه هذا يتاخم حدائق "بارك السعدون" – الحدث التخطيطي الأبرز في مكونات تخطيط بغداد وقتذاك. ومنه، من ذلك الحدث، يستقي المبنى مشروعية لغته التصميمية الحداثية، مثلما ينشد الى ان تكون عمارته المميزة إضافة ملموسة في إثراء المناخ التجديدي الوليد، الذي بدأ يعبق بأريجه خطاب التطلعات المشروعة نحو التغيير والمغايرة.

يتعين التذكير، ابتداءً، بان المبنى "ابتلى" بالعديد من التغييرات الوظيفية المتنوعة، ما أفضى الـى تبدلات جذرية في هيئته الأصلية وتشويه متعمد لحق بإشكال عناصره التصميمية، كما ان كتلة المبنى، طرأت عليها تغييرات مستمرة، طوال نيف ونصف قرن منذ تاريخ اكتمال تنفيذه في نهاية الأربعينيات، جـراء الإضـافـات غير المدروسة التي تمثلت خصوصا في تشييد أقسام جديدة الحقت بالمبنى سعيا لتلبية متطلبات وظيفية طارئة اجبر المبنى على القيام بها. لكني سأعتمد في قراءتي لعمارة المبنى على صيغة هيئته الأصلية، وطبيعة وظيفته الأولـى، والـتـي استبقتها صور قديمة تعود الى تلك الفترة، احتفظ بها في أرشيفي الخاص، وعلى متابعتي الشخصية للمبنى، خصوصاً في عقدي السبعينيات والثمانينيات، حيث أوليت مع طلابي، اهتماما مهنيا وأكاديمياً به وبعمارته، إضافة الى مراجعة كتابات متفرقة، تناولته في أوقات مختلفة؛ سيما ما نشرته "الين الايوبي" في مقال شامل لها، عن العمارة الحديثة بـالـعـراق فـي الـعـدد الـخـاص مـن مجلة "التصميم المعماري"Architectural Design البريطانية، الـعـدد آذار/ مـارت ١٩٥٧، والمكرس لعمارة الشرق الأوسـط، وفي المقال إياه المنشور في المجلة المذكورة، إشـارة واضحة من الكاتبة بـان مصممي المشغل هما: "الين ونـزار علي جـودت" ؛ وسوف نعتمد هذه المعلومة الموثقة لاحقا في الحديث عن عمارة المبنى.

* مدرسة العمارة/ الأكاديمية الملكية الدانمركية للفنون

ترسيمات ما بعد الحداثة في مسرح اللامعقول

■ شاكر عبد العظيم

تنطلق أسس ما بعد الحداثة من مجموعة اشتراطات أفرزتها ذائقة الوعي الحديث بنيت على أساس تقويض الفكر السائد المتمترس في خزانة الموروث الجمعي للعقل الغربي، اذ قامت أسسه السابقة على تمركز العقل والاعتداد بالذات والاحتفاء بها والإعلاء من شأن الإنسان وفرديته وعدها قيمة عليا لا يمكن المساس بها، وهو ما يشير الى فضاء الحداثة التي استمرت ردحاً طويلاً من الزمن في الفكر الفلسفي ابتداءً من عصر النهضة مروراً بعصر الأنوار وما تم إزاحته من طروحات فلسفية انطلقت من فلسفة كوجيتو ديكارت، وسببية لابينتز، وعقلانية كانت، وفلسفات معاصرة كالنتشوية والماركسية وعلم النفس الفرويدي، فقد قامت الحداثة برسم مسارات جديدة للإنسان امتلك عبرها رؤيته الجديدة للعالم ولنفسه، تلك الرؤية التي اختلفت عن العصور الكلاسيكية السابقة حيث حاول تيار الحداثة الاعتماد الكلي على النزعة الإنسانية والتشريع للإنسان بذاته فأصبح الإنسان هو المركز، كما حاولت التأسيس بناء على العقلانية وإقصاء المتخيل الأسطوري العقائدي والميتافيزيقي، مما أدى الى قيام الثورة الصناعية والعلمية في المجالات كافة آنذاك، ولان ما بعد الحداثة قائمة على أنقاض وتقويض عصر استهلاكي (عصر الوفرة)، فالاستهلاك هو المحرك الرئيس لما بعد الحداثة، وقضية (الوفرة) ليست سبة عليه لأن المجتمعات تحلم بالوفرة، ولم تتوقف التسميات عند هذا الحد بل سمي بعصر المجتمعات الصناعية والإعلامية والمعلوماتية ومجتمع التكنوقراط، وتميز أيضاً باعتماده المعلوماتية، وتخطي حدود الدولة ساعد على تحطيم البيروقراطية، فأدى الى تحولات طالت مستويات (الكل الاجتماعي) كافة، ان تلك التحولات أصبحت خاضعة لقانون الموضة، فضلاً عن اهتمام فكر ما بعد بالتعددية والتنوع والصورة والسطح والتفكك والتشظي وتهتم بالنسبي ومن هنا يأتي مسرح اللا معقول مبنيا على تلك الترسيمات ومتطابقاً مع مقاساتها، انطلاقا من تأثيرات (الفريد جاريك) في ثلاثيته (اوبو ملكاً، واوبو مكبلاً، واوبو ديوثاً).

فقد كان لـ(الفريد جاريك) (١٨٧٣-١٩٠٧) أهمية بالغة في التأثير الحداثوي المسرحي ابتداءً، إذ انطلق في تأسيس مسرحه من الرمزية التي غادرها فيما بعد ليذهب باتجاه ان السخرية القريبة من العبث وذلك عبر ثلاثية مسرحية بنصوصه الثلاثة لمسرحية (اوبولكا، اوبو مكبلاً واوبو ديوثاً) ولم يقف عند هذا الحد بل راح (الفريد جاريك) إلى التأثير في الكثير من التجارب المسرحية التي جاءت من بعده، فنجد إن ابرز المتأثرين بمسرحه هو (انتوفين ارتو) صاحب مسرح القسوة،فعملت الثورات الفكرية والفنية القائمة آنذاك على رفض كل ما هو سائد وتقليدي.

ومسرح العبث من أهم المتأثرين بجاريك، كمؤسس ومجدد ومرسخ لمفاهيم الحداثة في المسرح الى جانب ابسن وسترنبيرغ، الا ان الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل تجاوزه للدخول في عوالم ما بعد الحداثة دليل استمرارية مسرح العبث وتوائمه مع الحياة الفكرية السابقة والراهنة ليخترق عوالم ما بعد الحداثة ليعد يكون من أهم الصور المعبرة عنه.

عبرت أعمال بيكيت ويونسكو وادامو والبيركامو عن تلك النزعات التي ميزت خطاب ما بعد الحداثة المسرحي، إذ تركز في عدم جدوى كل شيء في هذا العالم الذي تحول فيه الإنسان إلى سلعة وتحول فيه الإنسان إلى شيء كبقية الأشياء، وكان بيكيت قد ركز على عدم تواصلية اللغة، ويونسكو على الجوانب الحلمية، اللامعقولة على الدوام.

تكمن فلسفة مسرح اللامعقول في عدم اعترافه بوجود المطلقات ويعبر بشكل دائم عن غيابها، لكنه رغم عدم اعترافه بالمطلق الا انه يشعر بالخيبة إزاء ذلك الغياب ويتحسر عليه، وكما خيم المطلق في المسرح الإغريقي عبر حضوره، يكون في مسرح العبث مخيماً بغياب وقد رمز بيكيت، لهذا المطلق في مسرحية (غودو) ولغيابه، فالمسرح عند بيكيت وأقرانه من كتابه اعتمد على المجاز في توصيفات عوالم شخصياته وكذا الاستعارة الشعرية، ولا وجود في هذا المسرح لشيء اسمه القدر، ولا ملامح لشخصياته في أي إطار اجتماعي أو تاريخي محدد، بل هي تنبه إلى الإنسان في أي زمان ومكان وفي أكثر الأحيان تكون بيئته الشخصيات تمثل فراغاً قذفت فيه، فاما صحراء أو قمامة، أو تحت شجرة، وهو ينظر إلى ان اللغة لا تمتلك القدرة في إيصال فكرة الإنسان للإنسان وتقف عاجزة إزاء ذلك، وبالنظر إلى أهمية الكتابة المسرحية في اطر ما بعد الحداثة بشكل عام وعند وكتّاب مسرح اللامعقول بشكل خاص، فإنها خيالات مسلية ووهمية كلية، ليست الصعوبة عند قارئ كتاب ما بعد الحداثة تكمن في آلية الغموض في الخطاب المسرحي الذي قد يكشف عنه أو يقرا وفق القارئ وانما يكمن في الريبة المستوطنة في تلك الكتابة، إذ لا يمكن تحديد شخصية (استراجون) أو (فلاديمير) لأنها تشكل كمسرحية متاهة لا بداية لها أو نهاية.

ان تلك السمات التي تميز بها مسرح العبث والتي تنطبق على أعمال كتابه تسري على جميع كتاب العبث ابتداءً من البير كامي وانتهاءً بهارولد بنتر الكاتب الانكليزي الذي ينتمي إلى مدرسة العبث، حيث تميزت أعماله العبثية بصيغة اجتماعية، فكل كاتب له ما يميزه عن غيره إلى أنهم ينضمون تحت لائحة واحدة هي ما مر بنا من أسس انطلق منها اللامعقول وفلسفة العبث مضافاً إليها تأثيرات الدادائية والسريالية والمستقبلية وهي حركات أفرزتها طروحات ما بعد الحداثة.

ففي تجارب كل من يونسكو وبيكيت يواجه المتلقي بتجربة محيرة تتألف من أحداث غير معقولة تتعارض مع ما سبقها من أعراف مسرحية،فتجرأ النقاد لإطلاق تسمية (ضد المسرحية) كميزة لإعمال كتاب اللامعقول أو اللامسرحية، فالقارئ لا يجد فيها ملامح زمكانية وليس لها سماتها الفردية وأحيانا لا تجد لها اسماً تنادى به، ويطرأ عليها التغيير خلال الحدث بشكل مفاجئ، ويتأكد هذا في تحول (بوزو ولكي) إلى سيد وخادم بشكل متناوب وينبري (يونسكو) ليطلق تعريفه للعبث فيقول (بأنه كل ما ليس له هدف أو غرض أو قصد) وهو ما يتفق مع طرح ما بعد الحداثة في الانفتاح وعدم الانغلاق واللامركزية وتوثيق حالة الفوضى الحياتية وعدم ترابطية الجمل ولغتها المفككة والأشياء في هذا الفضاء تكون غير خاضعة للتفسير، وهو مكتوب آي يمكن أعادة كتابته ويكتنفه السخرية من عالم الماورائيات والقيم والأخلاقيات، تلك حدود المابعد التي تشكل انسجاماً مع عالم اللامعقول الذي يتماهى فيه العالمين ليكوُنا عالما واحد من الفن والفكر، ولقد أثر مسرح اللامعقول بالكثير من مسارح العالم على مدى عقود الى يومنا هذا،فقد اخذ المسرح العربي بشكل عام والعراقي بشكل خاص مأخذه من هذا التأثر، إذ جاءت الكثير من بنائيات النصوص والعروض العربية والعراقية على حد سواء وفق ما تم الاشتغال عليه في اللامعقول من خلال ما قدمه فلاسفة وكتاب العبث لاستحصال نصوص تعتمد القراءة الخاطئة (دريدا) واللامنطق وتجاوز العقل إلى اللاعقل (فوكو) وضرب السرديات الكبرى (ليوتار) ومن ثم تقديم كل ما هو سطحي وهامشي تتمأسس عبره الصورة التي لا تحتوي عمقاً (بوديلارد).

وهكذا فأن جميع كتاب العبث وبكافة مستوياتهم وطرقهم في التعبير وان اختلفوا في بث رؤاهم إلا إنهم يجتمعون في عناصر مهمة مثل (العبث) و(اللامعقول) وغيرها من ترسيمات ما بعد الحداثة.

مسرح الملائكة ..
كتاب جديد عن مسرح الأطفال

■ عرض/ قحطان جاسم جواد

صدر للشاعر والكاتب فاضل عباس الكعبي كتاب جديد عن دائرة الثقافة والإعلام/ حكومة الشارقة لعام ٢٠٠٩ ويحمل عنوان (مسرح الملائكة) دراسة في الأبعاد الدلالية والتقنية لمسرح الأطفال ويقع في ٤٠٤ صفحات من القطع المتوسط.

يتضمن الكتاب ١٧ بحثاً إضافة الى المقدمة التي كتبها المؤلف الكعبي وحدد فيها لماذا كتب هذا الكتاب؟ وقدم فيه العشرات من التساؤلات حول مسرح الأطفال وأوصافه وأهدافه ومتطلباته ثم أجاب عنها من خلال المباحث الـ ١٧ .

في المبحث الأول (المسرح والحياة) حاول المؤلف ان يؤكد خاصية المسرح الفنية وهي التمام الآدمية بالآدمية وجهاً لوجه بلا حواجز وفواصل.. وهذا يمنحه التأثير المباشر على المشاهد فالمسرح حسب الكعبي قوة وقدرة كأداة فعل وعمل وتطوير وتغيير العالم الداخلي للإنسان.. وتغيير العالم الخارجي أيضاً تغييراً تسانده البيئة الصالحة لحياة أفضل، والمسرح يعد فن التواصل مع الزمن حيث يتضح ذلك من خلال قدرته على استعادة الماضي وتمثله وفق نظرة الحاضر مع وجود إمكانية تأمل المستقبل مع نظرته المستجدة للحياة والمسرح أيضاً فن لما كان يملكه من أبعاد وخيال فهو ينطلق من المجتمع ولمرتبة الاجتماعية الى أفاق واسعة تجمع نحو الالتقاء الموضوعي حول محور العلاقة الجمعية في النشاط المتبادل بين الفنان والمتلقي على وتيرة واحدة حسب رأي المؤلف.

في مبحث آخر (فلسفة المسرح) يتناول المؤلف قضية تطور المسرح الى ان دخل في إطار التنظير العلمي في المفاهيم الفلسفية ونشاطها الفكري بعد ان اعتمد على ان المسرح ركيزة من ركائز الفكر والعقل.

وفي مبحث المسرح والأطفال يؤكد المؤلف ان فاعلية المسرح ومؤشراته العديدة هي التي خلقت منه حاجة ثقافية ونفسية وجمالية واجتماعية لأفراد المجتمع وأصبح من الضرورة للمسرح ان يـــلازم حياة الإنسان ويوجه اتجاهاته نحو الأفاق الصحيحة من هنا يشكل المسرح حاجة ضرورية للناس ولاسيما للأطفال لان تأثير المسرح عليهم اشد وقعاً من تأثيره على الكبار وحاجة الأطفال له اكبر من حاجة الكبار لان الطفل حسب المؤلف يحتاج الى التربية والتعليم والإعداد الثقافي والأخلاقي وتطوير النمو الحركي واللغوي والفكري والعقلي واللعب واللهو والمتعة والإثارة والخيال الواسع وتعميق المعرفة وتدريب التذوق وسد أوقات الفراغ.. وكل هذه الأمور موجودة في المسرح وانطلاقاً من هذه الأهمية لمسرح الأطفال اهتمت الدول بهذا المفصل وراحت تعد البرامج والخطط لتطوير مسرح الطفل.

ويوضح المؤلف في بحوث أخرى تعاريف لمفهوم مسرح الأطفال ويقدم في هذا المجال أكثر من تعريف.. كما عرج على تناول العديد من التجارب العالمية لمسرح الأطفال في أمريكا وروسيا وبريطانيا والعالم العربي واخذ نماذج منه في مصر والأردن وسوريا والكويت والغريب ان لا يعرج على مسرح الطفل في العراق رغم أهميته وانجازاته.

وقد اتضح لي بعد النقاش مع السيد المؤلف انه وضع مبحثاً كبيراً في نهاية الكتاب حول التجربة العراقية لكن جهة النشر لم تطبعه ربما لكبر حجم الكتاب او سبب آخر ارتأته جهة طبع الكتاب مما خلق نوعا من البتر او النقص في مادة الكتاب.

وفي مبحث آخر يعدد ويشرح الكعبي أشكال مسرح الأطفال بتحديده للأشكال التالية للمسرح الا وهي مسرح العرائس ومسرح المزاوجة بينهما والمسرح الشعري ومسرح خيال الأطفال والمسرح المتنقل.. اما نشاطه فينحصر بالمسرح المدرسي والمسرح الصيفي ومسرح الروضة.. كما يؤشر خصائص المراحل العمرية في مسرح الأطفال ويحدد المراحل بمرحلة الميلاد ومرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة المتوسطة ومرحلة الطفولة المتأخرة وفي موضع آخر تحدث عن المسرح المدرسي ومزاياه كما تناول البعد الجمالي لمسرح الطفل فيقول: (يشكل الجمال جوهر المعنى ودلالاته في كل شيء.. وهو الغاية السامية التي تدفعنا الى البحث والتقصي والى الارتقاء بالمستوى الذي نحن عليه الى مستوى اكثر انسجاماً وتناسقاً مع الوعي والذوق والفعل المتغير.. ان المسرح بوصفه فناً جمالياً يجسد لنا الحياة واقعاً وخيالاً فهو فن تشخيص الجمال وتمثيله أي بمعنى تربية الحس الجمالي وإظهاره في الانفعال النفسي القائم على الإدراك والشعور والتفاعل ويمكن تشخيص إبعاد الجمال في مسرح الأطفال من خلال التشويق او قدرة العرض المسرحي على مخاطبة حواس الطفل والتفاعل معها وكذلك قدرة العرض على التحليق بمخيلة الطفل الى آفاق بعيدة التوسيع من هذه المخيلة وكذلك خلق التوحد الإيهامي وإدخال البهجة والسرور في قلب الطفل وخلق عنصر الإثارة على حد تعبير المؤلف.

وفي مبحث آخر يحدد البعد المعرفي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي والبعد الثقافي لمسرح الطفل وفي بحث آخر يعرج الكعبي على الإخراج في مسرح الطفل لان المخرج هو مؤلف ثان للعمل الذي يخرجه بعد المؤلف الحقيقي (كاتب النص) وهو يختلف عن مخرج الراشدين او مخرج المسرح التي تتطلب من المخرج ان يعتني بها ويعمل على تأكيدها في إخراجها لمسرح الأطفال فيها العناية بالنطق والإلقاء ويجب ان تكون القصة عند الأطفال واختيار اللهجة المناسبة لمخاطبة الأطفال.

كما خصص مبحثاً خاصاً للنقد المسرحي شخص فيه العلاقة الموضوعية بين المبدع كصانع للعمل الإبداعي والفني وبين الجمهور المتلقي لمتذوقي مستقبل العمل وبين الناقد كمتذوق متخصص يقف بين طرفي العلاقة ليوثقها ويعمقها ويصل بها الى ذورة الجمال في التذوق الفني.

يعتبر هذا الكتاب دراسة نقدية مهمة لمسرح الأطفال الذي أطلق عليه مسرح الملائكة وتفاصيله وهو مجال يفتقد للدراسات والبحوث سواء في العراق او الوطن العربي لذلك تأتي هذه الدراسة لتسد نقصاً مهماً في المكتبة العربية والعراقية.

ويذكران المؤلف بدأ الكتابة في عقد السبعينيات واهتم بمجال ثقافة الأطفال شاعراً وباحثاً وناقداً وعمل عضواً في لجنة مسرح الأطفال في السينما والمسرح بالتسعينيات الى جانب عمله الدؤوب في الجمعيات غير الحكومية للطفولة.

كما عمل نائباً لرئيس تحرير مجلة الطفولة كما كتب العديد من الأشعار والمسرحيات والبحوث والمقالات حصل من خلالها على العديد من الجوائز التقديرية منها تكريمه في مهرجان مسرح الطفل الثاني عام ٢٠٠٥ باعتباره رائداً من رواد مسرح الطفل في العراق ان أهمية الكتاب تدعونا لمطالبة المؤلف لتوفير نسخ من الكتاب في المكتبات العراقية من خلال اتصاله بالجهات المعنية في إمارة الشارقة.

حول الأيام الثقافية في الخارج

■ د.سامي عبد الحميد

جميل أن تلتفت وزارة الثقافة الى مثقفي العراق وفنانيه المغتربين وأن تقيم الجسور للتواصل مع الداخل وأن تحاول استمالتهم للعودة الى الوطن للمساهمة في البناء ولكن ما مدى نجاح تلك الإقامة وتلك المحاولة؟

ان لبقاء أولئك المبدعين خارج بلدهم أسبابه المعروفة، فمنهم من أسس له رصيداً وسمعة وانتشاراً في الخارج وربما يخشون أن يخسروا ذلك الرصيد ويفقدوا تلك السمعة إن عادوا وانحصروا في الداخل، وأذكر هنا على سبيل المثال المسرحي جواد الاسدي والتشكيلي فيصل لعيبي والأديب عبد الستار ناصر، ومنهم من يريد أن يبتعد عن الأجواء المضطربة والعنف المستمر في الداخل وقد وجد مكاناً آمناً وراحة بال في الخارج، وأذكر هنا على سبيل المثال المسرحي يوسف العاني والنحات محمد غني حكمت ومنهم من يعتقد بأنه سيبقى مهمشاً في الداخل ولن يحقق الفرص التي كان يحققها قبل ان يغادر وهؤلاء كثيرون.

بالتأكيد إذا ما زالت الأسباب سيعود الكثيرون ولكن يبقى السؤال متى؟ ولكن أيهم أحق بالاهتمام والرعاية والدعم هؤلاء الذين ظلوا وصمدوا وقاوموا وتحملوا عذابات القهر والتسلط أم أولئك الذين هاجروا ووجدوا ضمان العيش والحرية ولمسوا مظاهر التقدم والرقي وراحوا ينامون قريري العيون لا يؤرقهم أحياناً الا الحنين والقلق على مصير من تركوهم لقماً سائغة للنميمة والدسيسة وللضغوط المختلفة ولأهوال الحروب المتعاقبة؟ بالتأكيد الأولون هم الأولى.

بقي القول ان الجسر سيبقى مقطوعاً إذا ما انحصر نشاط المثقفين المغتربين في ساحات بلاد الغربة من غير أن ينتقل الى ساحات الوطن كي يلتمس أقرانهم وجمهورهم أبعاد تلك النشاطات وتحدث المقارنة، فأما أن يصعد الباقون في الداخل الى مستوى الباقين في الخارج أو العكس.. وسيبقى الجسر مقطوعاً إن لم نجعل الباقين في الخارج يقدمون ما يقدمه الباقون في الداخل من إبداعات وأن نجعل المواطنين الأغراب يتعرفون مدى إصرار المثقفين الصامدين على مواصلة إبداعاتهم ومحاولة تصعيدها برغم كل الصعاب والمخاطر.

نعم الباقون هم أولى بالتقدير والرعاية فآلامهم ظلت مستمرة أما الخارجون فقد خفت آلامهم بالتدريج وربما زالت.

قيل ان النشاطات الثقافية في عهد النظام السابق كرست للتبجيل والتمجيد وفقدت طعمها ونكهتها الإبداعية وربما يكون القول صحيحاً على جانب ضيق من تلك النشاطات.

اما الجانب الأوسع فقد كان متحدياً أحياناً ومتصدياً أحياناً ورادعاً أحياناً ومتقنعاً أحياناً لا يمكن لروح المثقف والفنان الا ان تتمرد.. الا ان تحاول كسر القيود وتتحرر .

بغداد من جديد:

جيوش غريبة وعذاب يومي.. ولعب وجد وحب

المدن المعذبة تعذّب قاطنيها؛ المدن المترفة تسعدهم

٢-٢

■ علي عبد العال

الوحشة والشعور بالغربة

إنها مشاعر خاصة لربما؛ لكن ماذا تقول عن إنسان تداهمه الوحشة والشعور بالغربة في قلب مدنه وأراضيه؟ قال الشاعر الألماني العظيم هلدرلين عندما عاد إلى دياره من بلاد الأغريق بعد فترة أربع سنوات قضاها في دراسة الفلسفة الأغريقية:

"عدتُ إلى أهلي وأنا غريبٌ بينهم".

جاء المسؤولون العراقيون إلى أوروبا وفي مرات ترأسهم السيد رئيس الوزراء نوري المالكي. ودعونا نحن الذين في "الخارج" إلى العودة للوطن والمساهمة في عملية البناء السياسي والعلمي والاجتماعي. وفق هذه الدعوات الصادقة والكريمة عاد الكثير من الخبراء والفنانين والأدباء والمثقفين لكن ماذا وجدنا؟ نحن مجرد نكرات إذا لم نتمتع بتزكيات من قبل الأحزاب الحاكمة في العراق الآن. سوف لا أتحدث عن تجارب الآخرين، وإنما عن تجربتي الخاصة بعد مضي أكثر من ثلاثين عاما قضيتها في المنافي الكثيرة والمتنوعة على أصقاع الكرة الأرضية. هل حقا أنني سأبقى على قارعة الطريق في وطن ضحيت من أجله بشبابي وبعذابي وبكفاءتي وعدا عن كل ذلك بحقي الطبيعي كوني كنت موظفا في إحدى الدوائر في العاصمة بغداد لكي يتم التنصل وغمط حقوقي كمواطن عادي إلا عبر الوساطات ودفع الرشاوى لموظفين فاسدين يعلوهم رؤساء أكثر فسادا ليصل الفساد إلى نخاع الدولة وليس الحكومة فقط؟ المعادلة التي أكتشفتها بعد مضي أكثر من أربعة أشهر من المراجعات التي تعثر فيها على أكثر من بئر في صحراء الربع الخالي لم أعثر على عنوان وظيفتي وأنا المفصول سياسيا بقرار من قيادة الثورة منتصف العام ١٩٧٩ ومنشور في الصحف الرسمية. وقفت أمام موظف في دائرتي السابقة بأدب واحترام، كان أبيض الشعر عصابي الحركة متوتر الأعصاب، وضع لافتة مكتوباً عليها: "رئيس قسم المفصولين السياسيين". حدثت نفسي وقلت لها: "الحقوق لا تضيع في بلد القوانين الأولى في العالم". نظر إلي الموظف المسؤول شزرا من غير أن تدعو الحاجة لذلك، وقال:

ـ شتريد؟

ـ أنا أطلب منك معلومات عن شروط تقديم طلب إعادة الخدمة للمفصولين السياسيين.

ـ وهل أنت مفصول سياسي أيضا؟

ـ ماذا تعني "أيضا"؟

ـ هذه الفايلات، وضرب بكفه بصورة عبثية على عمود من الفايلات السمر المحشوة بأوراق كثيرة فبعثر بعضها تحت الطاولة، هذه كلها لمفصولين سياسيين.. أنا لا أصدق ذلك.

ـ أنا أخاطبك بأدب واحترام وأطلب منك مخاطبتي بالمثل.

نظر إلي تلك النظرة الشزرة وقال:

ـ أذهب للمدير العام.. شغلتك ليست معي.

ـ من هو المدير العام وأين مكان عمله؟

ـ اسمه فلان وغرفته في الطابق الفلاني.

توجهت مباشرة إلى المكان وطلبت من السكرتير مقابلة المدير.

وقبل مغادرتي قلت له:

ـ كان يمكن أن اكون أنا مديرك العام بعد ثلاثين سنة من الخدمة، فشعر بالذعر وأراد توضيح الأمر لكنني أنطلقت نحو غرفة المدير العام.

أعود للبيت متعبا لأجد العلوية زهرة الموسوية بانتظاري على أحر من الجمر والخوف الذي بقلبها يتفجر مركزا ضوءه الساطع على حالي الغريب. تعرف الخيبة والمرارة المرسومة على وجهي وسماته المصحوبة بالقرف والسخرية والرفض للخطا، تلك السمات التي يتحلى بها أي سياسي محترف شريف قديم في هذه المهنة الفاشلة. تقول أمي من دون أن أروي لها التفاصيل الصغيرة المضجرة تلك التي أكتبها الآن بغرض قول الحقيقية:

ـ يمة أكتب للسيد المالكي؛ هذا خوش إنسان.. واللّه يمة هو سيعرف كل شيء عنك. يمة أنت تطلع بالتلفزيون كل يوم ـ رأت لي مقابلة خاطفة في إحدى القنوات العراقية ـ ويومية تكتب بالجرايد، يمة أكتب للمالكي.. عجيب أمر الزمان.. أبني علي يحتاج للواسطة؟ وأقول مهدئا من روعها:

ـ يوم هذه وضعية الدوائر العراقية، منو يعرف فطيمة بسوق الغزل؟

"أكتبُ هذه المؤشرات وأعتذر من القارئ الكريم بحكم طلب أمي الحبيبة بأن يصل صوتها للجميع". الأمهات هنّ وطننا الحقيقي وليست الدوائر العفنة التي لم تتغير منذ العصر العثماني حتى "فجر" العراق الجديد. المعادلة الكيميائية والميكانيكية والفزيائية المتعلقة بالعدالة والحقوق في العراق لا تأخذ مجراها الطبيعي إلا بواسطة حزبية طائفية وليست "سياسية" كما في العهد المباد، ونحن كيساريين مغضوب علينا في الدنيا قبل الآخرة، فمن أين لنا مثل هذه الواسطة الألهية؟ والطريق الثاني دفع الرشاوي الكبيرة، ونحن مفلسون والحمد للّه. مفلس وما عنده واسطة ويرد يرّجع حقوقه في العراق الحديث؟ روح دّور على حظك في غير مكان، ربما في الصومال أو بنغلاديش أو في التورا بورا لكن ليس في العراق. لكن لا يعرف اليأس طريقه في الأرواح النظيفة ذات الحقوق الوطنية الأكيدة كما يعرف ذلك رفاق المنافي في دمشق وكوجه مروي في إيران ولندن والقرى العالمية في إسكندنافيا، وسأبقى أثابر حتى أحصل عليها حتى ولو بالمعارك الضارية. أما قاتلنا من أجل حقوق الشعب العراقي، حقوقنا، بالكلمة والكلاشنكوف والسكاكين والواحد وعشرين ميلي والأربعطشر ونص والآربي جي وجبال كردستان الضارية ومنظمات الحزب الشيوعي المطاردة تحت طائلة الأعدام رميا فوريا بالرصاص أكثر منها من رجالات الدين الذين تسلموا الحكم في العراق الآن. إلى متى سنبقى تحت التراب وتحت القمع وتحت التعذيب الجسدي والعذاب النفسي؟ لنا حقوقنا جراء تضحياتنا التي استثمرها الاخرون ونسونا في المنافي نكابد الغربة التي تجاوزت الثلاثة عقود . سيقف التاريخ يوما ويحاسب جميع الفاسدين الذين يغمطون حقوق المناضلين والثوار الأصليين. سوف تكون لنا صولات أخرى في هذا المضمار. لكن لنعود من جديد إلى بغداد، ذلك الحب الأبدي بين الأبن وأمه، بين الوردة والندى، بين الطير والعش، بين النخلة والغمر والسماء، بين الأسد واللبوة، بين الكرامة والشموخ، بين العزة والحرية.

أمشي في بغداد أمشي على غير هدى. من باب المعظم حتى ساحة الأندلس. من الجادرية حتى ساحة النصر في شارع السعدون. ما أروع هذا الأسم؟ شارع السعدون؛ هذا يدل على أننا نمتلك رجالا نسمي الشوارع الكبرى باسمائهم. عبد المحسن السعدون أبو علي، رجلٌ من ذلك الزمان الجميل، رجلٌ من المنتفك، الناصرية حاليا، صار رئيسا للوزراء في الحكومة الملكية وأتُهم بالعمالة للإنكليز، اي الإحتلال البريطاني للعراق في العهد الملكي. لم يقبل هذه التهمة الشائنة ففضل الإنتحار. شيّد له العراقيون تمثالا صغيرا في شارع من شوارع بغداد سماه العراقيون شارع السعدون. لو كنا مصريين، لو كانت لنا أدوات سينمائية تجارية تضاهي الانتاج السينمائي المصري أو الهندي أو المغاربي لكانت لنا قصص طويلة في الدراما العالمية. لكننا فقراء في الفن السينمائي والمسرحي بحيث بقينا نلهث خلف تجارب الشعوب الأخرى. لا توجد سينما في العراق

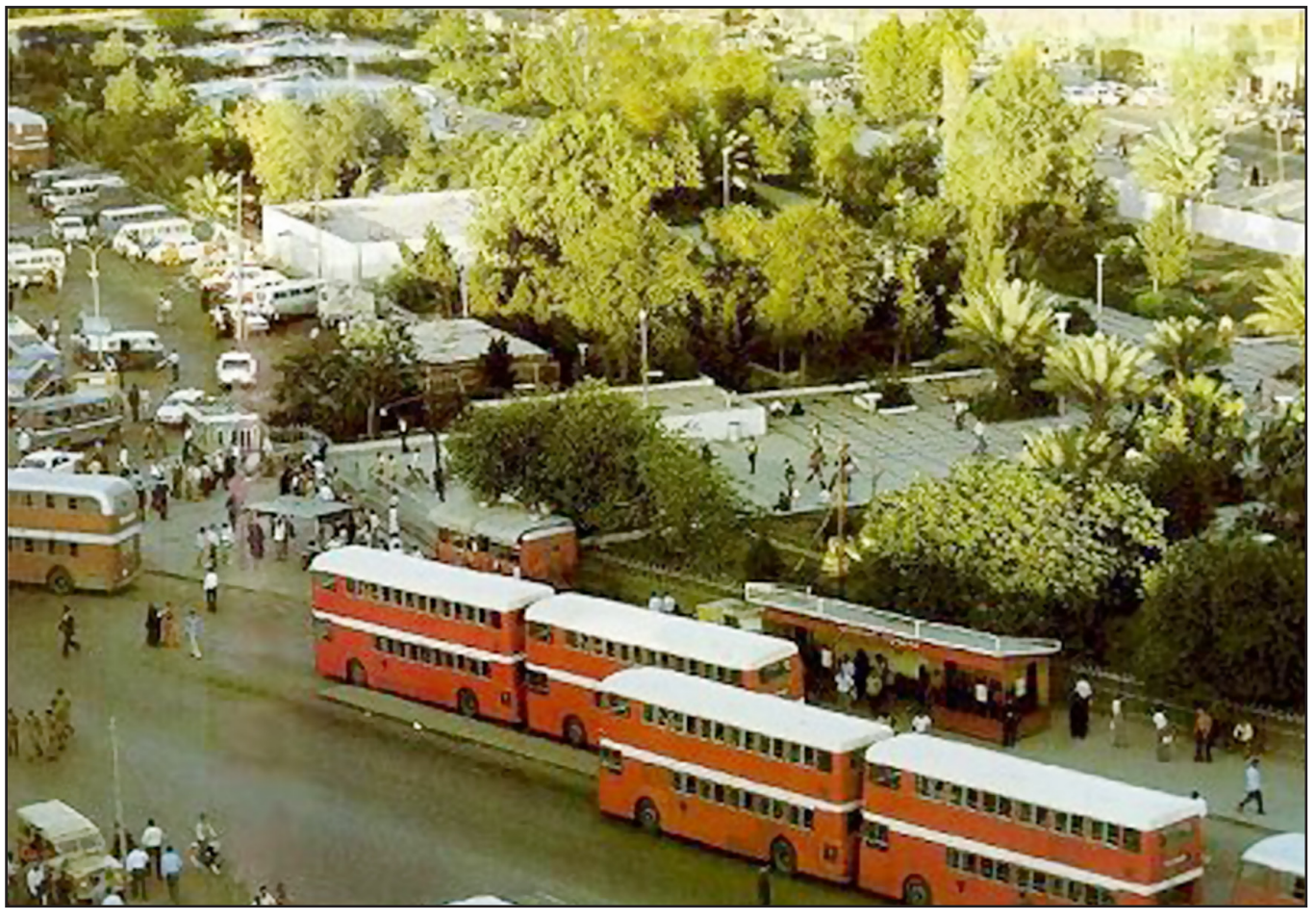

الحديث، تم اغلاق جميع دور العرض تحت وطأة تعاليم همجية لا تمت للدين بصلة بل تمت للجهالة أكثر مما تمت بصلة للدين. وصودرت دور العرض السينمائي والمسرحي وتم الإستيلاء عليها بالحرام. وتحولت هذه الأماكن الثقافية بالتدريج إلى اماكن بشعة لتخزين السلع غير المرخصة والبضائع المهربة وأنمحى دورها التاريخي كونها أماكن ثقافية وعناصر مهمة لتطور المجتمع وولادته من جديد.

كيف للمرء في هذا العصر المتطور الحديث أن يعيش بدون فن وبدون موسيقى وبدون فنون جمالية من تشكيل ونحت ومسرح؟ وهل يمكن تحويل الدولة برمتها إلى "لطميات" على كربلاء؟ كربلاء التي هي براء من المخدرات والشذوذ الجنسي الذي يغزوها الآن من المحبين قبل الأعداء؟

الدولة الإسلامية في إيران خربت سياسيا بعد ثلاثة عقود من الحكم الإسلامي تحت عنوان "ولاية الفقيه". ولو كان الإمام الخميني عائشا وهو يرى اليوم الشارع الإيراني لما كان سيفرق بين عهد الطاغية شاه رضا بهلوي وبين أحمدي نجاد. الهراوات ذات الهراوات والرجال المدججون بالسلاح هم ذات الرجال، والذين يضربون المتظاهرين هم ذات الذين كانوا يضربونهم قبل ثلاثين سنة، وعلى هذا المنوال فليس تبدل حال إلى حال. الغش والأحتيال واللعب في الدين وغش الناس البسطاء، لو كان الشاه موجودا وسنحت له الفرصة في الأنتخابات الإيرانية لفاز على ولاية الفقيه بسبب عنصر واحد: عنصر الحداثة والتطور والمستقبل. الدين لا يمكن أن يحكم الدول، بل هو يحكم الناس من باب الروح البريء. وعندما يتحول الدين إلى دولة ونظام حكم تفسد رسالته السماوية ويصير تدريجيا أكثر إنحطاطا من أسوأ أنواع النظم السياسية البشرية التي عرفها التاريخ.

القاع الثقافي الأصيل لبغداد اليوم

ليست بغداد اليوم عاصمة ثقافية منتجة؛ هذا الوضع مؤسف بحد ذاته. فبعد أن كانت بغداد قبلة الثقافة العربية تحولت بفعل جهل الأنظمة الشمولية إلى ساحة تكاد تكون خاوية في الميزان الثقافي الحقيقي الذي تُقاس بثقله كمية ونوعية المنتج الحضاري على كافة الصعد الجمالية والإبداعية من موسيقى وفن تشكيلي وفنون مسرحية وحركة سينمائية، هذا فضلا عن الشعر والقصة والرواية والنقد الفني. بغداد تقف الآن في خلف المشهد الثقافي العام الذي تحكم قوانينه الدول المجاورة عربية وغير عربية. لاسباب معروفة تتقدم على المشهد الثقافي العراقي دول الجوار بحكم الظروف السياسية المستقرة فيها. سوريا والأردن والكويت والسعودية وتركيا وإيران أنتجت أعمالا تلفزونية وسينمائية وتشكيلية وموسيقية تفوق بكثير مما أنتجه العراق في المرحلة ذاتها. لنا وضعنا الخاص، لكن، وعلى الرغم من قلة الأعمال العراقية المنتجة كان نوعها وقيمتها الفنية تضاهي ما يُنتج في هذا المحيط. قيمة الفن العراقي بمختلف أشكاله وأنواعه تكمن بعدم سوقيته، اي بعدم خضوعه لمبدأ الربح والخسارة وفق المفهمو التجاري. تلك أيضا هي مشكلة تجارية تعرقل تطور الفنون في العراق. لا يوجد منتج يجازف بأمواله من أجل طرح أفكار أخلاقية تدعي الشرف وحب الوطن؟ بالمقابل تقف الدولة عاجزة عن سد الهوة بين نظام شمولي كان يغدق الأموال الطائلة على تسويق وجوده السياسي بشتى السبل، وبين دولة جديد لا تؤمن بهذا المبدأ، بل هو ممنوع حسب الدستور.

هذا المشهد العام الذي وجدت نفسي فيه من الناحية النظرية على اقل تقدير، تبقى الناحية الشخصية فمذاق بغداد الثقافي له نكهته الخاصة حتى لو كنا نجلس على رصيف مجهول في شوارع بغداد العتيقة. اسماء حبيبة كيف سأكتبها وكيف سأذكرها وكيف سأتحدث عنها؟ وهي الأسماء الوحيدة التي ظلت عالقة بالذاكرة. هي الأسماء التي جعلتني أوقن أنني في وطني وبين أحبتي وفي شوارعي وأزقتي وظلالي ومتاهاتي وأوهامي. الشاعر كاظم غيلان، الشاعر ماجد طوفان، الشاعر يوسف المحمداوي، الروائي حميد المختار، الفنان التشكيلي نداء كاظم، الأديب الصحفي علاء المفرجي، الصحفي المخضرم علي حسين (المدى)، الأديب والسينمائي كاظم مرشد السلوم، الصحفي حسين رشيد ، المثقف محمد سلمان أبو الحسن صاحب مكتبة عدنان، الأديب والصحفي الماهر مازن لطيف، الشاعر عدنان الفضلي، الشاعر الصحفي حمزة الحلفي، الشاعر أحمد عبد الحسين، الشاعر أحمد عبد السادة، الفنان خالد إيما، الباحث علاء كاظم، الشاعر عارف الساعدي، الشاعر حسام السراي، الصحفي شاكر المياحي، الصحفي والشاعر محمود نمر، القاص عبد علي اليوسفي، بائع الكتب الشهير في سوق المتنبي نعيم الشطري، وغيرهم من الأحبة الذين لاتحضرني اسماؤهم الآن لكن وجوههم الطيبة المتعبة والحزينة والذكية تستقر داخل رأسي.

تلك شريحة من القاع الثقافي للعاصمة بغداد؛ هي الشريحة الحقيقية المهمة التي تؤسس للمستقبل القادم بحكم مصداقيتها الإبداعية والأخلاقية والوطنية وبراءتها من القتل واللهاث وراء المؤسسة التصفوية السابقة. أحتفظ في دفتري الخاص بلمحات عن كل شخص ألتقيته ولو لدقيقتين. أؤمن كثيرا أن العراق الحقيقي القادم لا يقوم على أكتاف المؤسسات الحكومية الفاسدة وإنما يقوم على أكتاف الأحرار الشرفاء من العراقيين الأصليين من مثقفين وعلماء وأطباء ومهندسين. المؤسسات مفسدة وروتين ورشاوى، العقل العراقي منتج وعفيف ووطني جميل.

المؤسسة الثقافية الرسمية أظهرت عجزها عن مواكبة التغيرات الجديدة التي حدثت في العراق، وبحكم القوانين التي كانت تسود العراق حينذاك ظل الأشخاص المسؤولون عن إدارة المؤسسات الثقافية الرسمية يراوحون بين الماضي الصلب والحاضر الغامض. ليس لعدم الكفاءة ولكن بحكم الروتين الصارم القديم.

لا يمكنني الأعتراض على بقاء شخصية ثقافية رائعة وقورة مجربة ولها تاريخ وطني مشرف كشخصية الأستاذ الشاعر الفريد سمعان الأمين العام لاتحاد الأدباء العراقيين، وليس هنالك من خللٍ بوجود الأستاذ الناقد فاضل ثامر رئيساً للاتحاد المذكور. بيد أن هؤلاء الأفاضل وغيرهم من المثقفين العراقيين الجيدين لا يمكنهم عبور البحر الهائج مرتين. أتمنى لهم من قلبي النجاح، وأعطي صوتي لهم من بعيد متمنيا لهم النجاح والتوفيق بحكم جدارتهم المهنية والوطنية، لكن الزمن يتغير وآن الآوان لكي نرتاح ونستريح، ونترك العهدة لمن يستحق ويحرص على الأمانة. هل يوجد مثل هؤلاء الشرفاء في عراق اليوم؟ لا أستطيع الجواب.

دردشـــــــــــــــة

الكلاب المسعورة!!

■ يوسف أبو الفوز

نهاية تموز الماضي، وخلال وجودي في بغداد، رتب لي صديق عزيز لقاء مع بعض من زملائي أيام الدراسة الجامعية في البصرة، ووصلوا من مدن عراقية مختلفة، والتقينا وسهرنا عند ضفاف دجلة، وكان ـ يا عزيزي القارئ ـ لقاءا حارا من بعد سنين افتراق قسري، حاولنا فيه استعادة شيء من بهجة تلك الأيام، وتذكرنا معا وجوها عزيزة غابت عنا لسبب وأخر، فمنهم من استشهد ومنهم من أكلته الحرب ومنهم من غادر الى المنفى القسري.

وتحدثنا في كل شيء وكانت هموم الوطن دائما هي الأولى أثناء حديثي مع احد زملائي، من الساكنين في بغداد، انتبهت انه كرر قوله عدة مرات، بأنه: "رغم الانفراج الواضح في الوضع الأمني فانا أحرص على العودة مبكراً الى داري تجنبا للشر"! وإذ اعرف أنه يسكن في منطقة شعبية، واعرف أنه إنسان مسالم، وان أحواله المادية لا تغري أحداً بابتزازه، سألت بجدية: "هل هناك من يتعرض لك في محل سكنك؟" وفي بالي ـ عزيزي القارئ ـ كل قصص عمليات الابتزاز والتهديد وعمليات "العلس" التي يخشاها الكثير من أبناء العراق، لكن صاحبي قال بثقة وهو ينظر في عيني مباشرة: "أخاف على نفسي من شر الكلاب السائبة!"

ولا اخفي عليك ـ عزيزي القارئ ـ في الوقت الذي غالبني الألم، حاولت ان أكتم ضحكة قدرت أن الوقت غير مناسب لإطلاقها، الألم كان لكون هموم العراقيين الأمنية ومخاوفهم، لم تعد تتوقف عند سعار ارهابي قادم من خارج الحدود، او طائفي متشدد يحاول إلغاء الآخر، او متأسلم ظلامي لا يرى ابعد من حدود لحيته ومصالحه الشخصية، أو صدامي حاقد فقد العز والجاه والسلطة، صارت المخاوف تشمل الكلاب السائبة، التي تشير التقارير الصحفية الى انها صارت هما أساسياً من هموم أبناء العاصمة بغداد والعديد من المدن العراقية، فهذه الكلاب السائبة التي صارت تهاجم الناس وتنزل بهم جروحا شديدة وأودت بحياة العديد من الأطفال، تقول جهات طبية انها".. وإذ تعيش في المزابل المكشوفة التي تنتشر في كل مكان من بغداد، اعتاشت لفترة على الجثث المجهولة الهوية التي ترمى في المزابل، وصارت تستطعم وتستسيغ لحم الإنسان"، وأنها "... عندما وجدت ـ الحديث هنا عزيزي القارئ لطبيب عراقي ـ، نفسها غير قادرة على الحصول على هذا الطعام في المزابل والطرقات، تحولت الى حيوانات مفترسة، وكلما وجدت أمامها تلك الرائحة الخاصة بلحوم البشر، إضافة الى المظهر البشري الجاذب لها، فأنها تسارع لمهاجمته بكل قوة وشراسة"!! ولا يخفى عليك ـ عزيزي القارئ ـ أن مخاوف الناس تأتي من كون هذه الكلاب إضافة الى الجروح التي تحدثها عند من تهاجمهم، فهي تأتي معها بمخاطر كونها قد تحمل أمراضاً عديدة مختلفة.

أما الضحكة، التي حاولت كتمانها ـ يا عزيزي القارئ ـ، فذلك لأني تذكرت كيف أني وفي الشهور الأولى التي أعقبت سقوط نظام الديكتاتور، واجهت مشكلة عائلية عويصة بسبب "الكلاب"، فزوجتي تعاني من خوف شديد، وغير اعتيادي من كل أنواع الكلاب وحتى المنزلية والأليفة منها. واذ عَلمت بأني تورطت من قبل أصدقاء ومعارف واستلمت بطاقة دعوة لحضور حفل زفاف شخص يصفه بعض أصدقائنا بكونه "أبن كلب "!، حتى ثارت ثائرتها وصاحت بي: "وتريدني ان أصحبك لحفل زواج كلب ابن كلب؟".

ولم تقبل حجتي بكوني تورطت بشكل ما، وأعلنت احتجاجها العنيف، ومارست مختلف أنواع الضغوط حتى لا اذهب، ونجحت في اقناعي ونالت ما تريد واعترف بأنها امرأة عنيدة جداً، السبب الذي أثار غضب زوجتي ـ عزيزي القارئ ـ، هو أن العريس ـ "ابن الكلب" ـ كان مشكوك بأمره بأنه من كتاب التقارير الأمنية أيام النظام الديكتاتوري المقبور، واختص تحديدا بنهش وعض المثقفين من أبناء شعبنا، ومع سقوط الصنم، ارتدى لبوس الديمقراطية وتدثر بقصص الضحايا وصار مناضلا من اجل العراق الجديد!

يااااه ـ يا عزيزي القارئ ـ لكم أتمنى ان تعود الى منزلك سليما معافى، بدون أية أذية، فالكلاب المسعورة تملأ شوارع العراق وشاشات التلفزيون وتركب سيارت فارهة، وهي تزداد شراسة وفسادا، وتحمل معها عشرات الأمراض القاتلة التي تهدد مستقبل أجيالنا القادمة، ولا يمكن لشعبنا التخلص منها الا بعمل نوعي وموقف شجاع وشامل يستوجب معالجة العوامل المساعدة لتكاثر الكلاب، وان تكون لدينا بيئة نظيفة في عراق لا يسمح للكلاب السائبة والمسعورة بأن تنهش لحم الناس الأبرياء!

وسنلتقي!!

haddad.yousif@yahoo.com

طـــائـــر الأهـــــوار

■ رعد شاكر

إلى محمد الحمراني في الذكرى الثانية لتحليقه المبكر

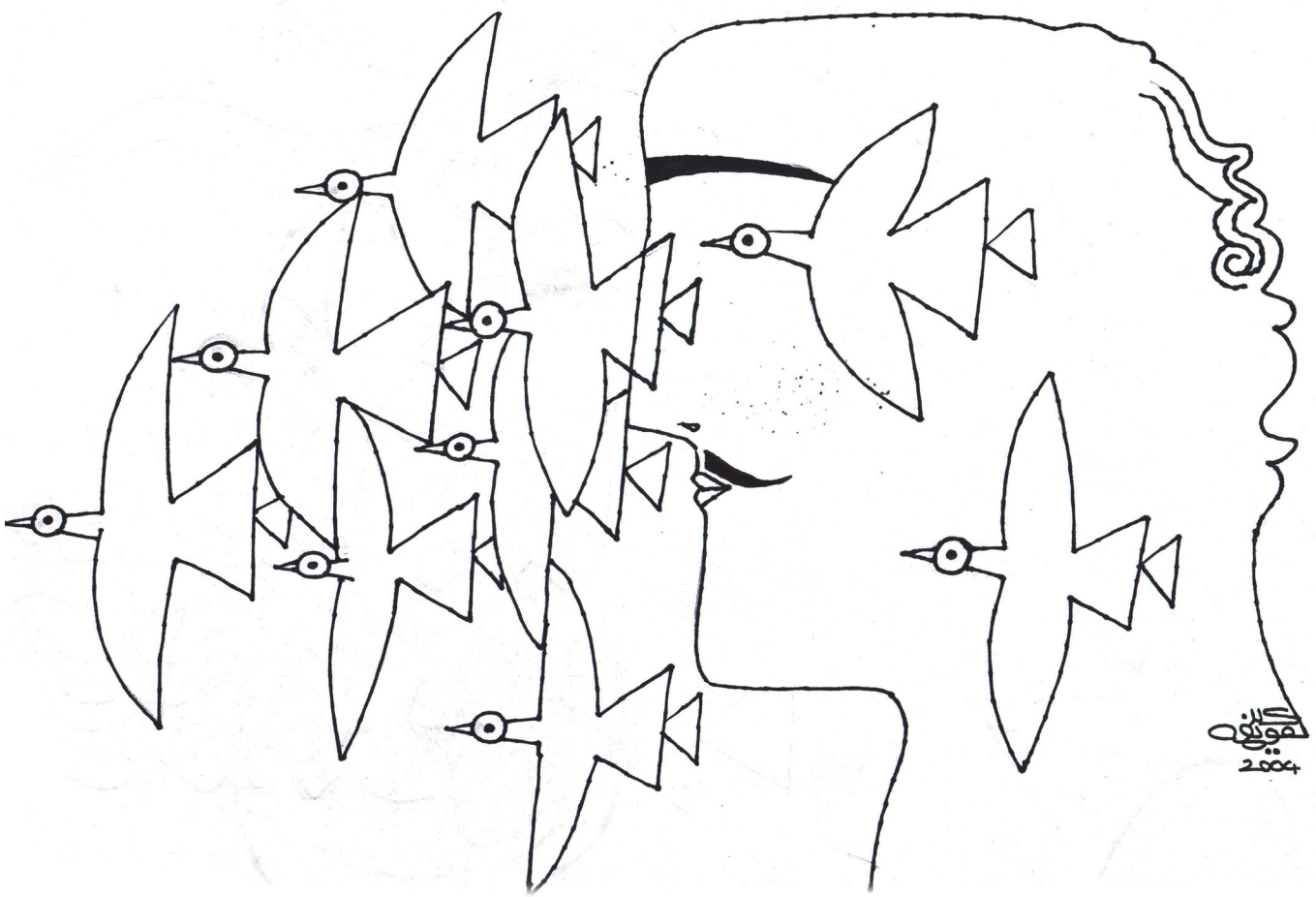

محلقا بلا وداع
بأجنحة أثيرية
متساميا.. إلى حيث لا ظلال
منفلتا من غواياتها
بلا ندم
واثقا من فساد بيضها
وهشاشة أجنحتها
وزيف مفاتنها
مبكرا ..غادرت بلا أسف
بريق زخرفها
كذاب وعودها
وركام الأباطيل
أما نحن..
فكما عهدتنا
لا نزال
حماقة إثر حماقة
نقتات أيامنا...
فرحين، إذ يعافنا الليل، لصباح بليد:
لا بصمة تركنا على نهار فائت
ولا ألما محونا في ليلة منصرمة
هكذا.. بلا ظلال
تسحلنا الأرجل
من قعر لمنحدر
ومن منحدر لقعر
دون أن نمر على رابية
ساكتون على ما جرى
وما يجري
صامتون
إلا من أنين مكتوم
ندسه تحت وسائدنا قبيل كل فجر
لنفتتح به نهاراتنا القاحلة

الـسُّـــومـــريُّ

■ عبدالرزاق صالح

أنا السُّومري
شاعرُ المسافاتِ
مائي عطشٌ
وصحرائي عطشٌ دائم
مِنْ غُربةٍ إلى غُربةٍ، تجوالي
على ظهري، هراواتُ الجلادينَ، وشمٌ
صَعْقَاتٌ كَهربائيةٌ عَبْرَ إبهامي
يداي مشلولتانِ
صَرْخَتي ضَحِكَتْ مِنْ عيونِ التعذيبِ
داميةٌ شجرةُ العذابِ
في رضوانياتِ تسعينياتِ القرنِ الماضي
أنا السُّومري
خمسونَ حرباً أخطأتني
ومازلتُ في حربي الأولى
مازلتُ أكتبُ سِفْرَ الجنوبيينَ
هل أدوِّنُ الخَرابَ
أمْ أقودُ الجوعَ إلى صحراءِ التغربِ؟
أنا السُّومريُّ
أنظرُ إلى خَرابِ البصرةِ
خَرابُ البصرةِ خَرابُ روحي
أتذكرُ ساعةَ (سورين) البديعة
قلبُ البصرةِ
قبلَ خمسينَ حرباً
البرابرةُ غزو (أم البروم)
وقتلوا(زعفران)
بائعةُ (السويكه)
وبعدَ خمسينَ حرباً
مازالَ القتلُ قانوناً
بين قتيلٍ وقتيل، دمٌ
دمٌ كالشَّراع
دمٌ في بيوتِ الطينِ

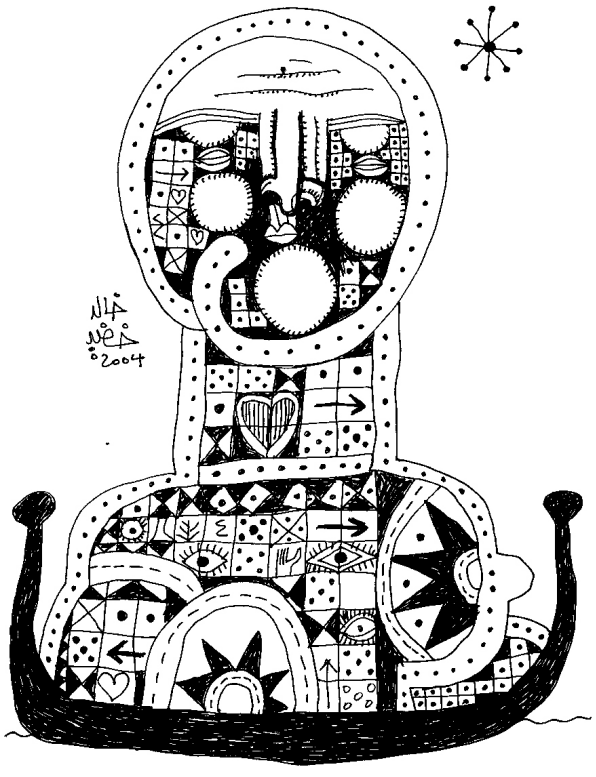

دمٌ في المساجدِ
دمٌ في الكنائس
دمٌ في نهري البَائسِ
دمٌ في دمي؛ عابثٌ
أنا السُّومريُّ

مِنْ سائقةِ الأقدارِ؛ ذنوبي
غصنٌ في شجرةِ الأخطارِ
والقادمُ يَرْقصُ في بابيَ
يَشدُ أوتارَ الخوفِ
في قيثارةِ روحي
يَعزفُ أنغامَ الموتِ
على صدري
وتَنتحبُ المراثي
مرثيتي وطنٌ مذبوحٌ
مِنَ النحرِ إلى النحرِ
فاجعةٌ تُولِدُ فاجعةً
في بلدِ النُواح
منذُ تموزَ البابَلي
إلى دَمِ الحسين
حتى جروحِ العراقِ الصَّامتة
أسْطورةُ هَذا العرَاقُ
منذُ زمنٍ عليل
أنا السُّومريُّ
هل أبكيكَ حينَ تَهْرمُ كالخيولِ
ياعراقُ؟
أمْ أشكو إليكَ الذي تَشْكُو لهُ الموتَ
ياعراق!
كُنْتَ شُجَاعاً... أجَلْ
كُنْتَ قوياً ... أجَلْ
كُنْتَ عجيباً ... أجَلْ
لكنَّهُم يَحبونَكَ ميتاً
يا عراق
نعم.
يَحبونَكَ ميتاً
يا عراق

تـــرويـــضـــن الـــشـــهـــوة

■ عبد الوهاب الملوح

لَيْسَ الصَّمْتُ غَيْبُوبَةً وَهْو لَيْسَ سُكُوتًا
تَرَكْتُ الْفِكْرَةَ تَسْتَلْقِي عَلى أَرِيكَة في الفقْدَان
وانشغَلْتُ بإِعْدَاد قَهْوَة عَلَى نَار هَادِئة.. الْبُنُّ جَيِّدٌ
والغِيَابُ يَحْتَاجُ إِلَى رَائِحَة تُؤَنِّثُه، الذَّاكِرَةُ ابْتِداع
للأَسَى؛ أَيْقَنْتُ إِنَّ لُغَةَ الصَّمْتِ أَقْدَرُ عَلى تَلْبِيَتي
حاجِيَاتي الغَامِضَة، لَكَمْ أَعْجَبُ لِقُدْرَتي عَلى مُقَاوَمَة
تَصَدُّع روحي وعَوزِهَا مَعَ كُلِّ الأَوْحَال التي تَنُوءُ
بِهَا.. السُّكْرُ كِبْرِيَاءُ الْحِدَادِ وَبَاقَةُ تَعَازِي يُعِدُّهَا
الجَسَدُ للرُّوح المعوزة.
كان مُجَرَّدُ تَذَكُّرِها يُؤَرِّثُ في الدَّواخل نَارًا كنت
خِلْتُ إنها انطَفَأَت منذ زَمَن.. طَعْمُ القَهْوة جارح؛
أَعْدو إِلَيْهَا آتِيةً من بين ثنايا ذَاكِرَة مُخْتَرِمَة؛ أَتَقَرَّى
ذلك الهُدوء المُطْمَئِنُ في حَضْرَتِهَا؛ رَائِحَة صَوْتِهَا
تُؤَجِّجُني شَوقًا؛ تَاسِرُني حَالَةً من الوَجْد ؛ عَلَيَّ أَنْ
أُعِدَّ هُدْنَةً مع أَحَاسِيسي.. ارتقي سلالم الانتظَار
وَأَسْقُطُ مَرَّةً أُولى
وثَالثة ورابعة وقُبْلَةً لم تَكْتمِلْ؛ أَصْعَدُ مُجَدَّدًا؛
أَتَسَلَّق لَفْتَةً منك لأَصِلَ مُنْتَصفَ الطَّرِيق كم أُرِيد
أن أَسْتَرِيحَ وَتتَصَفَّح عَيْنَاي سَهْلا تَرْتَعُ فِيه وُعود
نَبْضِك لَم يَكُنْ هُنَاكَ إلا ماعزا يَتَوسَّدُ رِيح الخَرِيف
البَارِدة مالَه الليل لا يَصْعَد السُّلَّم معي و يُسْنِدُني
كَتِفَيْه المُوسيقى وحدها تَأْخُذُني إِلَى جِهَة أَرى فِيهل
مرآة ضحْكَتِك لسْتُ أَعْني سِوَاكِ تَعَتَّقَ صَوْتُك في
آهَة الْعُمْر مَرْقى وَمَهْوى لِعَاطِفَة تَتَوَهَّجُ تَهْلُكَةً وَألوذُ
بِهَا من حَمَاقَات شَوق يُهَجِّنُني في المَسَافَة بَيْني
وبَيْنك أَهْرِبُ مِنِّي إِلَى جَسَد كُنْتُ أَحْسِبُه لي بَلَى
لَسْتُ أَعْني سوى لَحْظَة من شُرود صَبَاحَات نظْرَتِك
عَاليًا
كُنْتُ أَهْبِطُ مَثْوَاي فيك وأَرْسُمُ شَارة عِشْقي لواءًا
تَقَدَّم رَغْم هَزَائِمه فاتحًا
عَاليًا
لَسْتُ أَعْني سواك علُوًّا
بكَثير من الحِرْص أَشْرَبُ فِنْجَان قَهْوتي؛ مُنْشَغِلاً
بِأَشْيَائي البَسِيطَة؛ مُنْشَغِلاً بِشؤوني التي لا تُهِمُّ
أَحَدًا هَادِئ مِثْل قَيْلُولَة تَتَوَسَّدُ ظِلاً لَهَا يَتَثَاءَبُ؛
مُنْزَعِجا من بَلادَة حُلُم سَاذِج تَمَشَّى الهُوَيْنَا يُنَادي
الصَّبَاح.
لَيْسَ لي مَا أَفْعَلُه ؛ قَد أُرَمِّمُ حُزْن الجِدار وَأُعَدِّلُ
كَمَنْجَات الْمَجَاز
لَسْتُ أَعْني سِوَاك لِذَلك سَرَّحْت حواس أَفْنِيَة الدَّار؛
أَمْحُو ارتِبَاك النَّهَار بِسَاعَة سُكْر وَأُغْنِيَة نَثرية.
أَتَمَلَّى شَيْبَة القَلْب وأَتَعَهَّدُ أَمْرَ نِعَالي الوَفِيَّة بالمَشْي
فَوقَ الْجَلِيد دُون التَّزَحْلُق بالمُفْرَدَات وَحَلْق شَعْر
حَلْقي
أَنْسف رُمَّانة القَلْب ثُمَّ أُلْمِلمُ حَبَّاته؛ حَبَّةً حَبَّة وَ
أُسَوِّي مِنْهَا سُبْحَةً للتَهَجُّد باسْمك لَيْلا ولَيْلا كان
بِإِمْكَانِك أن تَنْفَعِيني مَرَّة واحدةً وللأبد: أَن تَمْنَحي
الريح شَال ظِلِّك يطيرُ وأَطِيرُ، هَكَذا رَأَيْتك قُدَّامي
فَجْأَةً؛ رأَيْتك هُنا الآن جِئت دُفْعَةً واحدةً لَم أرك
تَدخُلين وَلَم أنتبه للهواء يغْرُقُ في الضحك بينما
قَامتك اسْتَدْرَجَتْني إِلى دَهْشَة لَم يَكُن بِإِمْكَانها أَن
تَنْجُوَ من الْغَرَقْ.

تَقِفين غير بعيد من هنا؛ أعني تحديدا بين عمرين
عمر لك وَعُمْرٌ لَك؛ الطَّرِيق إليك تَبْدأُ من الحزن إلى
الحُزن.
أَرَاك مَعْنى يَنْزَعُ نَحْو التجريد؛ يَتَوهَّجُ كَلَيْل تَبَلَّل
ظَلاَمُه بِمُهْجَة لَهَا رَائحة الشَرَاشف بَعْد فِعْل الحُبِّ.
تَقِفين بَعِيدًا عَن أَمَلي؛ كَان أَمَلي قَصيرَ القَامة؛ لِذَلك
رَأَيْتُ لَهْفَتي بِك أَكْبَر سِنًّا مِنِّي وَمِنْك؛ وَمَهْما كَان
الانْتِظَارُ مُسِنًّا سَأَمْشي إِلَيْك بِمَعْنَوِيَات مُرْتَفِعَة
وَهِمَّة عَالِيَة كَتِلْمِيذٍ يَسْتَعْجِلُ الْوُصُول إلى سَبُّورَة
قَلْبك.
وَقَفْت عِنْد النَّافذة خَارج قَامَتك أَبْعَد قَليلا من ظِلِّك؛
درفة النافذة تُسْنِدُ جسمك ونَظَراتك تَسْرَح حَيْث
تُلَوِّن الزَّنْبَقَةُ الهواء؛ حَيْث يَنْبَعُ ماءٌ من تَعَثُّر خُطَاك
حَيْثُ الغِيَابُ حَديقة يُحَفِّف من كَآبَتِها هُتَاف السَّرْوة
وشَغَبُ زَوجي الكناري؛ سَأُعَلِّق تَعَبي على زَقْزقة
الكناري حَتَّى اذَا اسْتَفَقْتُ من دَهْشَتي كَانت نظراتُك
حَطَّت على كتفي.
بَرَحْت مَوضعك وخَطَوت في اتجاه الداخل مشَيْت
حافية الصوت إلى وسَط القَلْب تَمَامًا.
تَرَنَّح المَكَان وانفتح جرح في فم الهواء كان جرحًا
عميقا بحجم ربلة سَاقيك.
انْفَتَح الضَوْءُ رَدْهَة تَبْدَأُ من عَتَبَة مَنْسِيَّة خَلْف
النَّهَار تَبْدَأُ من فَتْحَة قَميص عند مَسْقَط الْكَتْفَيْن
كُنْتُ أُعَوِّلُ على شَراهة حدس الأَشْيَاء لأُقَوِّي غِيَابي
في حَضْرَتك:
سَتَائِرُ السومون التي تُذكِرُ بِضحكة سَانشو :
الشُبَّاكُ المُطِلُ على لامُبَالاة الطَّقس في الخارج.
بَقِيَّةُ أَكْلِ البارحة.
أَصُصُ الحَبَقِ الْمُهْمَلَة بِعِنَايَة على الشُرْفة تُطِلُّ من
عَيْنَيْك.
أُفكر أيضا في فيلم "على طريق ماديسون" لكلينت
استوود ومشهد المطبخ تحديدا هكَذا لم أرَ الليل
يَهبط فينا
لَم أَرَه يَكْنِسُ الماء وَهْو يُرَاود عُزْلَتَنا وغبطة
الجدران بِها رَأَيْت المَكَان يُذَكِّرُني بك وهو يُذكِّرني
بي.
تجلسين على حافة الإشْتِهَاء يَضْطَجِع الحلم
حجرَك.
ثمَّة أُغْنِيَةُ تَصْنعُ إيقاعها من شُرود الدواخل
ثَمَّت دفءٌ تَسَلَّل من ثَنْيَة الرُّكْبَتَيْن.
المُهِمُ رَأَيْتُ سُكُوتَك فَاصِلَةً في قَصيدة نَثْرٍ وَمَوَّال
خَاطِرَة للقصبجي.
يُدَلِّلُني صَمْتُك المُتَعَرِّي من الاسْتِعَارة والاحتمال؛
يُبَلِّلُني مَاؤُك كامْرَأة لا يُبرِّرها عُرْيُها.
هَذه أنت أَقْرَبُ من أن أَرَاك بِكُلِّ تَفَاصيل عِشْق
صريح.
هَذه أنت تَأْويل تَغْرِيبة الْبَدْو يَقْتَسمون رَغيف
الصَّدى وَسُبَات السَّحالي.

هذه أنت مشغولة بِتصفح ذاكرة الانتظَار وتَرْتِيب
ما يَتَعَثَّرُ من شَجن في الرواق.
تَجلسين قُبَالة لَوعة روحي؛ أُقَوِّي حضوري بِفِكْرَة
ليل تُعَرْبِدُ فيه النَّشَاوي.
المُمَرُّ إِلَيْك مَسَافة مَجرى حليبي؛ أُطِلُّ على الكُسْتُناء
هُناك تَبوح بِأَسرارها؛ لن يَنام العُشْبُ؛ ناولتني
قَدح شاي وأُرجوحة للرحيل وقلت: دع الريح
بوصلةً لخطاك.
وقلت تتبع شرُود الحواس أنا أرض منفاك.
وقلت: توغَّل كَأَعْمى يُهجِّه حدسه.
واشتعل ريقك في دمي يعتقني من شجن رشيد
فانصرَف وَجْهُك صَلاَةً أُخْرى للريح في أَبَد الدَّهْشَة
البِكْر.
هي بغتة لاَ أَوَّل لها وآخرها شجن شقِّيٌ يا امرأة
يَجْلُو ليلَها ارتباكُ الشَّفَتَيْن انكسارُهما افتضاحُهما؛
اشتعال الريق دما يُضِيءُ خَدر الجسدين سَتَغْدرُ بك
القُبْلَةُ وَأنت في المَمرِّ بين الرُّشْد والغَي سَتغدرُ بك
لَفْتتك لتكتملي فتنة فتحتها غزوات النشاوي

تنويه:

أصل المشهد رجل وامرأة يقفان عند الشرفة المطلة على الحديقة التي تفتح على الشارع المؤدي الى ا لنهر الذي يصب في البحر.
المرأة وهي تتأمل كل هذا غرق فيها الرجل قبل أن يبتلعهما البحر

الثقافة
العدد (1655)السنة السابعة -الاحد (15) تشرين الثاني 2009

فنانة الشعب.. في المدى بيت للثقافة والفنون

زينب تاريخ للفن والوطنية

■ محمود النمر

احتفاء بفنانة الشعب، استذكرت المدى بيت الثقافة والفنون يوم الجمعة في شارع المتنبي،الفنانة الراحلة –زينب – وفي بداية الحفل عرض فيلم خاص عن حياة –زينب – يمثل رحلة الفن التي عاشتها الفنانة وهو من انتاج مؤسسة المدى، ثم بدأت الجلسة التي قدمها الشاعر عبد الخالق كيطان الذي أشاد بتجربة الفنانة الراحلة واشار الى المحطات المهمة التي كان لها اثر واضح في تاريخ الفن العراقي–زينب التي توفيت في المنفى السويدي ولا اعرف لماذا ارتبط المنفى بالابداع العراقي، ام ان الحاضنة الثقافية هي التي تنتج منافيهاوعلى اية حال اريد ان اترك للسادة المشاركين ان يتذكروا تلك الفنانة وهي فنانة الشعب التي مازالت في الضمير العراقي.

وكان أول المتحدثين الكاتب المعروف عادل كاظم الذي قال: السلام عليكم وسلام على الذين ذهبوا عنا بعيدا ولم يعودوا وسلام على الذين ذهبوا عنا وسيعودون، ساحدثكم عن هذه الفنانة التي التقيتها أول مرة في، في -٨ شباط الأسود عندما خرجنا بتظاهرة الى وزارة الدفاع وحينما وصلت الى الباب الشرقي وساحة التحرير وكانت هناك امرأة تحمل خشبة وكنت قد شاهدتها من قبل، وانحدرت التظاهرة الى شارع الرشيد، وانتهت بالخدعة من قبل اجهزة البعث، وعندما عدت الى البيت كانت صورة هذه المرأة عالقة بذهني وأحاول ان أتذكر في أي مكان رأيتها وتذكرت ذلك التاريخ في عام ١٩٥٩ على خشبة المسرح في مسرحية (انه امك ياشاكر) عندما تم عرضها في محافظة البصرة من قبل فرقة مسرح الحديث وعندما قدمت اعمالي الاولى التي اخرجها استاذي المخرج ابراهيم جلال، وقرر المخرج إبراهيم جلال إخراج مسرحيتي –عقدة حمار– اختار الممثلة ناهدة الرماح وزينب وطلب مني ان اكون بطلا لهذه المسرحية، لم اصعد المسرح في حياتي ولا مرة واحدة، أقنعني على ذلك وقدمت المسرحية بعرضها الاول في الكويت وكانت اول مسرحية عراقية تذهب الى خارج البلاد وقد لاقت نجاحاكبيرا وكذلك في بغداد، وكان اسمها ناهدة الرماح وزينب من تمجد بهما المشاهد، وتوطدت العلاقة مابيننا فكانت الصديقة والاخت والمبدعة.

فيما تحدث المفكر عبدالرزاق الصافي عن بعض ذكرياته الممتدة لعدة عقود عن الفنانة –زينب-في الحقيقة زينب فنانة الشعب –فخرية عبدالكريم –هي واحدة من هذا الجمع الغفير للمثقفين العراقيين الذين اسهموا اسهاما كبيرا في الحركة الوطنية وفي النضال للخلاص من النظام الملكي وكذلك في الكفاح المتواصل ضد الدكتاتورية، خصوصاً في أعقاب الكارثة الوطنية التي كانت في -٨- شباط الأسود وكذلك مواصلة حزب البعث وتخليه عن اي تعهد اخذه على عاتقه في إن يقيم بالتعاون مع الشيوعيين نظاماً ديمقراطياً في العراق وقد شن حملته البربرية ضد الحزب الشيوعي وكانت تمهيدا الى جملة امور من الاضطهاد وصولا الى اضطهاد الشعب الكردي، زينب هي نموذج للمثقف العراقي الملتزم والذي يطلق عليه –غرامشي المثقف العضوي –وبمعنى انه ليس مثقفاً وشاعراً او فناناً وانما هو فعال في النضال السياسي.

وقال الباحث صباح المندلاوي عن الفنانة: ان زينب –فخرية عبدالكريم –كانت نجمة كبيرة في النصف الثاني من الخمسينيات يوم مثلت دور فهيمة في فيلم سعيد افندي، ولها محطات كثيرة ومضيئة وهي تسرد ذكرياتها في فيلم –سعيد افندي –والحارس-وفي اواخر السبعينيات تشتد دائرة الملاحقات والمضايقات على الوطنيين الشرفاء وتضطر الفنانة الراحلة الى مغادرة الوطن هربا من جحيم الدكتاتورية والقمع وتحط في بلغاريا، فنلتقي هناك ومنها نسافر الى اليمن الديمقراطية سابقا ويجمعنا العمل في وزارة الثقافة وبفضل مساعيها ووجودها يتم تأسيس فرقة مسرح الصداقة عام ١٩٨٠ وتتبوأ رئاسة الفرقة التي تضم في هيئتها الإدارية –لطيف صالح –إسماعيل خليل –صلاح الصكر- انور البياتي–سلام الصكر–صباح المندلاوي-وجميعهم من خريجي اكاديمية ومعهد الفنون الجميلة قسم المسرح.

وفي ورقة قدمها الاستاذ مزهر رشيد الشمري وهي عبارة عن ذكريات كتبتها الفنانة الراحلة عن بعض الادوار تقول فيها ان اول دور لي وحيث ارتقيت المسرح بعد ان اكتملت ابعاده في ذهني وكان ذلك عام ١٩٥٨فانضممت الى فرقة المسرح الحديث واسند لي دور ام شاكر في مسرحية –انه امك ياشاكر- بعد ان اجرى لي بروفة المخرج القدير ابراهيم جلال وقيم موهبتي وصلاحي للدور، اما في المسرح فكان اول عمل لي هو المساهمة بتمثيلية –بنات هلوكت –مثلت فيها دور الام البسيطة المغلوب على أمر نسائنا العراقيات، وتملكتني الرغبة في ان ارى نفسي وانا امثل وقلت الى احد زملائي –اشكد حلو لو واحد يشوف روحه وهو يمثل –ولكن بعد عشر سنوات تقريبا تحقق ذلك الحلم ورأيت نفسي عندما دخل –الفديو –في مجال العمل التلفزيوني.

أحـــلام

العودة الى الوسط

■ نزار عبد الستار

تتحرك وزارة الثقافة في نشاطات واسعة من اجل العودة الى الوسط الثقافي الدولي. هذا ماتقوله البيانات الكثيرة التي تصدرها الوزارة بهمة.

لاشك ان العلاقات الثقافية الدولية تستحق منا العمل على توطيدها ودفعها الى ابعد المديات لكن الارتباط مع العالم يحتاج ايضا الى وسائل وبنى تحتية ووضع ستراتيجيات بملامح واضحة تعبر عن عراق التغيير والديمقراطية وتؤسس لقيادة ثقيلة على المستويين العربي والعالمي.

ان مطالعة بيانات وزارة الثقافة مدة ثلاثة اشهر لابد من ان تكشف عن اداء مهني جميل سواء كان ذلك على مستوى البيوت الثقافية المتوزعة على مساحة العراق ام على مستوى التحرك عبر الخطوط الجوية المتوفرة في مطارات البلاد. الا اننا في المقابل نطمح الى حراك باتجاه قضايا نراها ملزمة للنهوض وتصب ايضا في استعادة العراق لمكانته الثقافية والحضارية.

ان وزارة الثقافة بحاجة الى دعم كبير لاستعادة قوتها وثقلها وهذا الامر يتطلب وجود خطط استنهاض واسعة تضع بنظر الاعتبار الدوائر الملحقة بالوزارة وكل ما يساهم في تلميع ابتسامة العراق وجعل وجهه اكثر حيوية ونضارة.

نحن بحاجة ماسة الى اعادة بناء دائرة ثقافة الاطفال كونها النواة الاولى لثقافة سليمة العقل . كما نحن بحاجة الى اعادة الروح لدائرة الفنون الموسيقية وكذلك دائرة السينما والمسرح. هذه المفاصل المهمة تحتاج الى اعادة خلق وفق اسس جديدة ولابد من الانتباه الى دورها وحث المؤسسات السياسية في البلاد على دعمها وتخصيص الاموال الكافية لتكون بمستوى الرقي المطلوب.

ان صوت الثقافة يجب ان يكون الصوت الاعلى في البلاد، وعلى وزارة الثقافة ان تعي هذا وتدافع عن استحقاقها وتجند الجميع من اجل توسيع حصصها المالية.وعلى الساسة ادراك اهمية ابعاد هذه الوزارة عن المحاصصة الطائفية وجعلها وزارة مستقلة تحظى بالاهتمام الاكبر حالها حال وزارتي الدفاع والداخلية.

nizar_165 @yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة 2009